الجمهوريـــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبية
وزارة التعليم العـــالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كليـــة العلوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الموسومة بـــ:

ظاهرة التقشف عند المرابطين وأثرها على الدولة والمجتمع

إعداد الطالبات:

- دحامي مليكة
- رمكي حنان
- زواوي خلود

إشراف الدكتور :

بن عودة بلقاسم

لجنة المناقشة:

د. سليماني شريفة..... رئيسا

د. بن عودة بلقاسم.....مشرفا ومقررا

د. راكة عمر ..... مناقشا

الموسم الجامعي:(1439. –1440 هـ) الموافق لـ (2018– 2019م)

شكر وعرفان :

نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا في انجاز هذا العمل المتواضع شكرا لعظمته وجلاله سبحانه عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم .

ونتقدم بخالص الشكر والامتنان الى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل سواء من قريب او من بعيد ، ونخص بالذكر الدكتور الأستاذ "بلقاسم بن عودة " الذي رافقنا طيلة فترة انجاز مذكرتنا ، ولم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة والنيرة التي ساعدتنا في هذا العمل

الى كل الأساتذة الذين اشرفوا على تدريسنا طوال خمس سنوات

و في الختام نرجو من الله عز وجل ان نكون قد وفقنا في هذا العمل ونرجو ان تكون هذه المذكرة خطوة في دفع البحث العلمي الى الامام .

إهداء

اللهم إني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء واعوذ بك من

سيء الاهواء، فانت ربنا سميع الدعاء

لك الحمد ربي على عظيم فضلك وكثير عطائك

اهدي هذا العمل المتواضع الى :

-الى صاحبة الكفين بصري وبصيرتي :

-امي ..... الحبيبة

-الى الذي الف كل صعب ليهديني من العيش اكرمه :

-ابي .....الغالي

-الى اخوتي واخواتي:

"محمد، دنيا ،ع القادر ،كمال ، مراد ،امينة ، محفوظ "

-الى ابنة اخي وكتكوته العائلة:

"مروة نورهان "

-الى زميلاتي بالمذكرة:

"مليكة –خلود "

-الى صديقاتي والذين قاسمتهم أيام حياتي ورافقتهم طوال مشواري الدراسي :

"جميلة –نادية –طاووس – فهيمة –مسعودة "

الى كل من يحملهم قلبي ولم ينطق بهم لساني اهدي ثمرة جهدي

حنان

إهداء

-الى من رسمت بحنانها طريقي ولاتزال .....وكللت بدعائها سماء حياتي ولا تزال

الى التي وهبتني من آياتي صبرا .....الى الدرة الكامنة في قلبي ابدا

"امي الغالية "

-الى من رفع اية التحدي والكفاح دوما الى من بقي صلبا وقويا رغم المصاعب والمحن الى الذي منحني ثقته وصفوة جلده فاستلهمت عظمة العلم وسعته الى الرجل الحنون .....الى ذروة فخري وقوتي

"ابي الغالي "

-الى من شاطروني حياتي والهموني العزة والكرامة

"محمد امين، صدام حسين، بشرى ، عادل ، ايمن "

-الى زميلاتي بالمذكرة:" حنان –خلود "

مليكة

إهداء

بعد الحمد لله وشكره تعالى على ما نحن عليه اهدي ثمرة جهدي هذا الى :

التي اهدتني سنين عمرها ،وغمرتني بحنانها وعطفها ودعت لي بالتوفيق سرا وجهرا ادامها الله شمعة في بيتنا

"امي ..... الحبيبة "

-الى من علمني معنى الحياة وافنى حياته لاجل سعادتي

"ابي .....العزيز "

لايواتيني ذكر روح اخي الغالي "احمد " رحمه الله كان امله رؤيتي وانا انهي دراستي

-الى من يحملون ذكريات طفولتي اخوتي واخواتي

"خيرة ، جمال ، بن علي ، العالية ، مراد ، سعاد ، أسماء ، فاطمة "

الى البراعم : "امين ، يونس ، الياس ، اياد ، يوسف ، اية ، ايلاف ، لينة ، شيراز ، سنا ، يسرى "

-الى زوجي وشريك حياتي ..... فضيل

-الى من انست برفقتهن ممن تحلين بالكرم والوفاء وقاسمتهم احلى أيام حياتي

" حنان , مليكة ، فهيمة ، مسعودة ، فتيحة ، جازية "

-الى كل من يذكرهم قلبي ونساهم قلمي اهدي عملي هذا

-الى كل من ساهم في هذا العمل سواءا من قريب او من بعيد

خلود

-قائمة المختصرات :

الرمز	المعنى
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
د س	دون سنة
مج	مجلد
تع	تعليق
تح	تحقيق
ج	جزء
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي
ص	صفحة
تر	ترجمة
ط	طبعة
ع	عدد
تق	تقديم
مر	مراجعة
/	الخط الفاصل بين السنة الميلادية والهجرية

مقدمة

مقدمة:

يعتبر سكان الصحراء في أي منطقة من مناطق العالم أكثر تقشفا وعزوفا عن بهارج الحياة وملذاتها، إذ ما قورن بغيره من سكان المدن والحواضر الذين تطبعوا على رفاهية العيش ونعيمه، وإذا ما قيس هذا على العصر الوسيط فمن المعلوم جيدا أن التقشف يعتبر عاملا قويا للصبر في الحروب وخشونة القتال ودفع العدو، ولقد كان بحق المرابطون مضرب المثل في الصبر ومجدات الأعداء وتحقيق الانتصارات التي هزت مشاعر المسلمين في كل مكان وشفى صدور قوم المؤمنين وذلك كله راجع إلى حالات التقشف المعيشي التي ألفوها في الصحراء حيث غلب عليهم طابع البداوة.

ونظرا لأهمية بحثنا في كونه يعالج ظاهرة سادت المجتمع المرابطي في بيئته وكان لها تأثير على دولته ورغبة منا في التعرف على الواقع الاقتصادي والاجتماعي بالدرجة الأولى للوضع الذي عاشته الدولة المرابطية قبل وبعد التأسيس وإعطاء صورة ولو بسيطة للقارئ حتى تكون لديه فكرة عنه، ارتأينا إلى اختيار ظاهرة التقشف عند المرابطين وأثرها على الدولة والمجتمع كعنوان لدراستنا، وكذلك باعتباره موضوع يثير اهتمام الباحث ويفتح أمامه المجال للاستكشاف والبحث.

وبناءا على ما سبق يمكن طرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى ساهم التقشف في قيام دولة المرابطين وكيف أثر على الحالة الاقتصادية والاجتماعية للدولة؟

تندرج عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية:

-ما مفهوم التقشف؟ فيما تمثلت أشكاله؟

-وفيما تجسدت أوضاع المغرب قبل قيام الدولة وبعدها؟

-وماهي اثار التقشف في المغرب والاندلس ؟

هذه الأسئلة وأخرى نحاول الإجابة عليها في ثنايا هذا البحث معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المادة التاريخية التي تخدم الموضوع، والمنهج الوصفي في وصف الحياة الاجتماعية للمرابطين سواء في المغرب أو الأندلس.

لدراسة هذا الموضوع تم الاعتماد على خطة فصلناها على النحو التالي:

مقدمة، مدخل، ثلاث فصول وخاتمة.

المدخل تحت عنوان لمحة عن القبائل البربرية قبل تأسيس الدولة المرابطية.

الفصل الأول: مفهوم التقشف ومظاهره ويندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم التقشف، والمبحث الثاني بعنوان أشكاله، أما المبحث الثالث: نماذج عن المتقشفين.

أما الفصل الثاني: بعنوان التقشف عند المرابطين قبل قيام الدولة اندرج تحته مبحثين المبحث الأول بعنوان: الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبل دخول المرابطين، والمبحث الثاني: أوضاع المغرب بعد دخول المرابطين.

بالنسبة للفصل الثالث: خصصناه للتقشف عند المرابطين بعد قيام الدولة، اندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول: التقشف عند المرابطين قبل دخولهم إلى الأندلس، المبحث الثاني: التقشف عند المرابطين بعد دخولهم إلى الأندلس، المبحث الثالث: آثار التقشف في الأندلس.

وقد استعنا بجملة من المصادر والمراجع لمعالجة هذا الموضوع نذكر أهمها :

المصادر:

-**كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/ 1312م) يعد هذا الكتاب منن أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب والأندلس ولا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه خاصة عند تأريخه الدولة المرابطية، وهو كتاب ذو أهمية كبيرة تناول فترة من تاريخ المرابطين، يتناول هذا المصدر مجمل تاريخ المرابطين بصفة عامة.

-**كتاب العبر** لعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/ 1405م) يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر ومن أهم المصنفات التي تحتوي على معلومات كثيرة خاصة الأحداث التي وقعت ببلاد المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، أفادنا هذا الكتاب خاصة فيما يخص مدخل البحث.

-**كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** مؤلفه مجهول، لم يذكر اسمه، ويعالج هذا الكتاب تاريخ المغرب منذ تأسيس مدينة مراكش إلى سنة 783هـ ويتناول أيضا عصر المرابطين والموحدين ويعتبر كذلك من بين أهم المصادر الرئيسية لتاريخ الدولة المرابطية حيث يورد حقائق تاريخية قيمة ومفيدة ويعد كتاب عام من أمهات الكتب المفيدة لدراسة التاريخ.

-**كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** لمؤلفه البكري (ت 478هـ/ 1113م) يعد كتابه من بين أهم المصادر الجغرافية العامة خاصة وأنه كان معاصر للمرحلة الأولى المرابطية، ذكر فيه معلومات عن خروج المرابطين من الصحراء وتأسيس مدينة مراكش بالمغرب.

-**كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس:** لابن أبي زرع أبو الحسن بن محمد بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/ 1326م)، يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر التي خدمتنا في الموضوع، حيث تناول فيه ابن أبي زرع تاريخ الدولة المرابطية ورصد بعض الجوانب الحضارية لمدينة فاس كالعمران.

هذا إضافة لبعض المعاجم التي استعملناها في تعريف أماكن والمصطلحات منها:

-**معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1222م) اعتمدنا عليه في معرفة الأماكن الجغرافية كالمدن وحدود البلدان، ووصف بعضها سواء في بلاد المغرب أو الأندلس.

-**معجم لسان العرب** لابن منظور الذي خدمنا في ما يتعلق بالفصل الأول في تعريف التقشف من الناحية اللغوية ومختلف بعض التعريفات.

أما بالنسبة للمراجع المعتمد عليها نذكر منها:

-**كتاب مباحث في التاريخ الاجتماعي** لـ: إبراهيم القادري بوتشيش يعتبر من أهم المراجع المعتمد عليها في بحثنا هذا تناول فيه المؤلف بعض من الجوانب الاجتماعية للدولة المرابطية حيث قام بالتفصيل في المجال الاجتماعي والاقتصادي لها.

-**كتاب دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين** لـ: سعدون عباس نصر الله الذي أفادنا بصفة عامة في الفصول الخاصة بالبحث.

-**كتاب الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس أسرارا المرابطين والموحدين** لـ:حسن علي حسن الذي أفادنا بشكل كبير في دراسة المظاهر الحضارية للدولة المرابطية ويعتبر من المراجع المهمة التي تخدم الموضوع.

-**كتاب التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين** لمؤلفه: حسين حمدي عبد المنعم، رصد هذا الكتاب تاريخ الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف بن تاشفين، وأهم أعمال الدولة في المغرب والأندلس.

-**كتاب فقه التمكين عند دولة المرابطين** لمؤلفه: علي محمد الصلابي حيث تناول هذا الكتاب دولة المرابطين منذ نشأتها حتى سقوطها، وقد استفدنا منه كثيرا في ما يخص الفصل الأول.

-**كتاب الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**: للباحث بسمة عبد اللطيف دندش رصد فيه بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والتقاليد والعادات التي سادت في مجتمع المرابطين.

-**كتاب قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** لمؤلفه: حسن أحمد محمود، فيه معلومات خدمت موضوعنا باعتبار الكتاب ينقسم إلى فترتين: الأولى تمتد من أواخر القرن الرابع هجري إلى منتصف القرن الخامس هجري، وتميزت بالتفكك والضعف الذي ساد المغرب الأقصى، والفترة الثانية التي امتدت منذ قيام الدولة حتى هزيمة العقاب.

بالنسبة للمقالات والمذكرات اعتمنا على البعض منها ولعل من أهمها:

-عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عهد المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (480هـ-504هـ/ 1050م- 1145م)، أفادتنا هذه الرسالة في رصد بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للدولة المرابطية.

-مجلة المرابطون وأثرهم الحضاري والفكري في بلاد الأندلس من (479هـ- 556هـ) للأستاذ خليل جليل بخيت مهاوش وآخرون أفادتنا هذه الأخيرة في رصد الجوانب الحضارية للدولة المرابطية.

اعترضنا في إنجاز بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات والعراقيل تمثلت أساسا في :

قلة المصادر المتحدثة عن ظاهرة التقشف حيث أن المصطلح لم يذكر كثيرا في المصادر أو المراجع بصفة عامة.

شح المادة العلمية وصعوبة التنسيق بين المعلومات وهذا لتداخل المعلومات وصعوبة الفصل بينها

وفي ختام دراستنا هذه نسال الله تعالى ان نكون قد اصبنا في الموضوع ولو بجانب من الإحاطة وقدمنا مايزيد في ثراء هذا الموضوع مما يناسب قيمته .

المدخل

لمحة عن القبائل البربرية قبل تأسيس الدولة المرابطية:

1-البربر

2-صنهاجة :

أ/ لمتونة

ب/ مسوفة

ج/ جدالة

1-البربر

مثل البربر[1] الغالبية العظمى من السكان ومنهم تأسست دولة المرابطين، حيث نجد اختلاف بين المؤرخين في أصل نسبهم:

يذكر ابن حزم الاندلسي عدة اقوال في نسبهم منها:" انهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طوائف منهم الى اليمن الى حمير، وبعضهم الى بر بن قيس بن عيلان، واريت لبعض نسابي البربر ان زنانة هو شانا بن يحي بن صولات بي ورتناح بن صرى بن سقفو بن جند واد بن عملا بن مادغيس،[2] وقد أشار العمري الى هذا الاختلاف بقوله:" واما البربر فقد اختلف فيهم اختلافا كثيرا فقيل انهم من ولد فارق بن بصير بن حازم، والبربر يزعمون انهم من ولد افريقش بن صيفي الحميري"، كما رجح ابن زيدان انهم من ولد كنعان، وانه لما قتل ملكهم جالوت الفلسطيني وتفرقت بنو كنعان، وقصدت منهم طائفة بلاد المغرب، وسكنو تلك البلاد وهم البربر"،[3] اما ابن خلدون فقال:" واما الى ما يرجع منهم الى الأمم الماضية، فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا، وبحثو فيه طويلا فقال بعصهم:" انهم من ولد سيدنا البراهيم عليه السلام... وقال اخرون البربر يمنيون".[4] إضافة لهذا فقد اجمع النسابة على تقسيمهم الى فرعين هما البتر والبرانس، وهدا ما أشار اليه ابن خلدون في قوله:"واما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فان علماء النسب متفقون انهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس مادغيس ويلقب مادغيس بالاثير فذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوبه برنس البرانس".[5]

---

[1]-قيل انها مشتقة من كلمة البرب، أي اختلاف الاصوات غير المفهومة كما يقال بربر الاستاذ زأر باصوات غير مفهومة، وقد اطلق العرب كلمة بربر على الامة التي تسكن الساحل الافريقي، لانهم يتكلمون بلغة ليست لهم، غالعرب يطلقون كلمة البربر على الاصوات المجتمعة الغير مفهومة، ينظر: ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب ،منشورات علي بيضون، بيروت1992،ط1 ج6،ص105.

[2]- ابن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب، تح و تع :محمد هارون، دار المعارف، مصر،ط5 ،ص495.

[3]-حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس" عصر المرابطين والموحدين"، كلية دار العلوم، القاهرة،ط1، 1980، ص292.

[4]-ابن خلدون، المصدر السابق، ص107.

[5]-نفسه، ص117.

أ/البربر البتر:

هم بدو رحل، كانوا يعمرون الصحاري والواحات، ويعتمدون على الرعي، كانوا يمتازون بروحهم القتالية العالية، وامتداد قبائلهم عبر مناطق كبيرة في المغرب الأقصى، كانوا ينتشرون في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الأقصى، ومن اهم القبائل المشكلة لهذه الطائفة نذكر: زناتة، نفوسة، مغيلة، مطغرة، نواتة، مديونة، زواوة.[1]

ب/ البربر الرانس:

وهم يسكنون النواحي الشمالية الخصبة والسفوح المزروعة،[2] وهذا الفرع من البربر هو أصل البربر' وهم الاقوام الذين سكنوا هذه البلاد منذ اقدم العصور، اما ملامحهم فقد كانوا يشبهون سكان الاندلس، وتنتشر بينهم شقرة الشعور، وبياض اللون، وزرقة العيون، خاصة بين أهالي الجبال.[3] واهم قبائلهم: صنهاجة، كتامة، لمطة، اوربة، كزولة، عجيسة، هكسورة، اوريغة، وقد وصفهم ابن خلدون بانهم اوفر القبائل عددا.[4]

[1]–حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ الغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ط2 ، ص33

[2] –حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافية الدينية،، الإسكندرية، دس، دط ،ص6.

[3] –حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد، مكتبة الأسرة ،1992 ، دط ص29.

[4] –ابن خلدون، المصدر السابق، ص179.

2-صنهاجة:

تعتبر صنهاجة شعبا عظيما، يتالف من الكثير من القبائل، انتشرت هذه الأخيرة على عدة جهات من المغرب انتشارا بعيد المدى، حيث لعبت صنهاجة دورا حاسما في قيام دولة المرابطين. اختلف المؤرخون حول قضية اصل الصنهاجيين ، فمعظم الروايات تنسبهم الى قبيلة حمير اليمنية، وهدا ما نجده في قول ابن عذارى عما نقله عن الهمذاني في قوله:" ان صنهاجة من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير".[1]

اما ابن خلدون فقد نسبهم الى البربر في قوله:" هذا القبيل من أوفر قبائل البربر"،[2]وسواءا كان اصل صنهاجة حميريا او بربريا، ترجع الى اصل عربي اذا سلمنا بصحة الأصل الغربي للبربر، ومن نستخلص ان الصنهاجيين ليسو من سكان البلاد الأصليين، انما هم عرب قدموا من شبه الجزيرة العربية، واستقروا في المغرب، وتناسلوا مع اهله حتى تبربروا،[3] وهذا ما أكده صاحب الحلل الموشية في قوله:" انما تبربرت ألسنتهم لمجاورتهم البربر ومكوثيهم معهم، ولمصاهرتهم إياهم،[4] ويتفق المؤرخون على انهم يتفرعون لاكثر من سبعين(70) قبيلة، أهمها: لمتونة، لمسوفة، جدالة، لمطة، جرولة، وبنو إبراهيم وبنو تاشفين وبنو محمد.[5] قسم ابن خلدون صنهاجة الى ثلاث طبقات :أولها صنهاجة افريقية و المغرب الأوسط التي افرزت نظامين سياسيين هما دولتا بني زيري[6]

[1] – ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980، ط2 ، ج4، ص46.

[2] – ابن خلدون، المصدر السابق، ص179.

[3]–جمال احمد طه، تاريخ مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين(448هـ-1056م/668هـ-1259م) دراسة سياسية وحضارية ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004، ط1،ص40.

[4]- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، (د.ط)، 1979، ص64.

[5] –ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دس ،دط ، ص 15

[6] –نسبة الى زيري ابن عطية بن عبد الرحمن بن جزر ينتسبون الى قبيلة صنهاجة من البربر الزيريون قائدهم زيري بن مناد (971هـ 1052م) ينظر ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 16

وبني حماد،[1] اما الطبقة الثانية فهي صنهاجة الصحراء(الجنوب)، التي شكلت النواة الدولة المرابطة، وهم أهل وبر بينما تتجلى الطبقة الثالثة في صنهاجة الريف، وهم اهل مدر،[2] والميزة الأساسية التي ميزت الصنهاجية هي تنقلهم الدائم، عدم استقرارهم، باعتمادهم على نمط الرعي والانتجاع، فهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا، وانما أموالهم الانعام، وعيشهم اللحم والبن،[3] وهذا ما اضطرهم الى التنقل والترحال طلبا للكلأ، والعيش الميسور، خاصة في أوقات الصيف والعودة الى ديارهم في الشتاء، وحتى بعض الصنهاجيين الذين كانوا شبه مستقرين في المدن، لم يكن استقرارهم يكتسي صيغة الديمومة، فقد وصفوا بأنهم رحالة لا يستقر بهم مكان،[4] اما صنهاجيوا الشمال فعاشوا حياة شبه مستقرة، وتعاطوا الاعمال الزراعية، ولكنهم لم يمثلوا سوى نسبة ضئيلة، ولذلك ظل الترحال والتنقل اهم خاصية من خواص القبائل الصنهاجية.[5] وقد ضمنت صنهاجة مجموعة من القبائل منها: لمتونة، مسوفة، جدالة، لمطة.

[1]–نسبة الى حماد بن بلكين، مؤسس الدولة الحمادية قامت عام(408هـ–1017م)، ينتسبون لقبيلة صنهاجة، ينظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ، 1411هـ–1991م،ط2،ص ص4–5

[2]–ابن خلدون ، المصدر السابق، ص202.

3–ابن ابي زرع: الانيس المطرب بروض القرطاس باخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والرواقة، الرباط، 1972،دط ،ص120.

[4]–الحميري، الروف المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان 1984، لبنان، 1975، ص 305.

[5] –البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تح، دي سيلان، ط2، باريس، 1991، ص164.

أ/ لمتونة :

تمتد لمتونة من منطقة لمطة[1] وجزولة،[2] من وادي نول،[3] على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية، والى الشرق من واد نول على مسيرة سبعة(07) أيام منه، من واد نول وهي حصن لمتونة ومعقلها، ويبدو ان هذه القبيلة توغلت في الصحراء شرقا حتى تدرك طريق الموصل بين غانا وسجلماسة، حتى قيل ان ديارهم تمتد قرابة مسيرة شهرين طولا وعرضا،[4] تعتبر هذه القبيلة من اهم القبائل الصنهاجية،[5] وهم من بطون البرانس،[6] وتعرف قبيلة لمتونة بالملثمين، وذلك لاتخاذهم اللثام شعارا لهم.[7]

وقد استقرت هذه القبيلة في مدينة مراكش،[8] التي اختارها المرابطون لتوسطها البلاد، وقد أشار الادريسي الى ذلك في بعص السطور قائلا:" ومدينة مراكش في هذا الوقت من اكبر مدن المغرب الأقصى، لانها كانت دار لامارة لمتونة"،[9] تنقسم قبيلة لمتونة الى طبقتين: طبقة الأولى:هم السادة المسمون ايماجيفان كانوا يحتكرون السياسة، اما الطبقة الثانية: عرفوا بالمجاد والرقيق، وهم لا يباعون ولا يشترون كالعبيد ولا يعتقون، انما يورثون كما يورث المتاع، وهم يتفانون في الدفاع عن القبيلة، لهم الحق في اقتناء الثروات كيفما طاب لهم،[10]

---

[1]–تعد هي الاخرى من القبائل الصنهاجية التي تحتل المنطقة الممتدة من جبال درن حتى واد نول القريب من المحيط الاطلسي: ابن حوقل، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، (د.ط)ص101.

[2]–جزولة او كزولة: فيهم بطون كثيرة، وهم اخوة لصنهاجة من بني تعكسي، وكانت منازلهم تشمل وادي سوس وواد يدرعى، ينظر المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 1997، ط1، ص09– ابن خلدون ، المصدر السابق، ص270–271.

[3]–هي مدينة صحراوية على نهر، تحمل نفس الاسم، خلفتها اليوم مدينة تندوف،ينظر الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2002، (د،ط)، ص62.

[4] –نفسه، ص66.

[5] –ابن خلدون، المصدر السابق ، ص200.

[6] –نفسه، ص201.

[7] –نفسه، ص203.

[8]–هي مدينة عظمى بناها الامام يوسف بن تاشفين عام(454هـ–1062م) وهي قاعدة بلاد المغرب ومركزها، فسيحة الارجاء، كثيرة المساجد، عظيمة المشاهد، جمعت بين عذوبة الماء واعتدال الهواء، ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص42.

[9] –المراكشي: المصدر السابق21، ابن خلدون، المصدر السابق، ص20.

[10]–عصمت عبد اللطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين (56هـ–546هـ/1116م–1152م) تاريخ سياسي و حضارة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،1408هـ–1988م،ط1 ،ص 36.

واللمثونيون هم ملوك المغرب والاندلس وهم الصحراويون، خرجوا من الصحراء بعد الاربعمائة(400هـ) من الهجرة وهم بنو تاشفين من بني رئنطق، اول ملوكهم في الصحراء، هو يحي بن إبراهيم من قبيلة جدالة،[1] وبهذا استطاعت لمتونة كسب دور فعال في توجيه تاريخ المغرب، فهي اكبر القبائل المرابطين والمسيطرة عليها، وكانت تتولى رئاسة سائر القبائل الأخرى، كمسوفة، مداسة،[2]

[1] -المراكشي، المصدر السابق، ص21.

[2] -البكري، المصدر السابق، ص165.

ب/مسوفة:

مسوفة او امسوفا تعد من القبائل الصنهاجية المشهورة،[1] تمتد مظاربها من منطقة قاحدة مجدبة، تقع بين سلجماسة[2] واودغشت[3] في الجنوب وكانت بعض بطونها تتوغل شرقا، حتى تصل الى تاد مكة كوكو. كانت تتحكم في مراكز العبور الأساسية لذهب السودان الغربي،[4] فضلا عن امتهانها مهنة الرعي واعتمادهم في معيشتهم على لحوم الأغنام والبانها، وقد اسفر انضمامها الى دعوة عبد الله بن ياسين، ان تبوأت مكانة ممتازة ضمن المجتمع الجديد، وهذا ما جعل أبنائها يحتلون بعص مراكز القيادة في دولة المرابطين،[5] خضعت مسوفة لدولة المرابطين، ولعبت دورا كبيرا في انتشار مجال الدولة المرابطية، كانت مسوفة متنقلة في الصحراء تقريبا من التكرور[6] وهي بمالي حاليا.[7]

[1] -ابن خلدون، المصدر السابق، ص180.

[2]-مدينة متدرسة في اقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني، في مقاطعة تاقيا التي على طرف الصحراء، بنيت سنة(140هـ، 757م)، وكانت تمتاز بكثرت نخيلها واعنابها وقصورها، ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص95.

[3]-هي مدينة في الصحراء، كانت سوقا كبيرا، تتحكم في الطرق التجارية بين الشمال والجنوب، ينظر: الادريسي، المصدر السابق، ص91.

[4]- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ،دط، ج2 ،ص ص 271-272.

[5] -محمد عبد الهادي شعيرة، المرجع السابق، ص30.

[6]-او التكلور: هو شعب زنجي يسكن الجزء الاوسط من وهاتفوتا السنيغالية، على جانبي نهر السنيغال، ونشر موطنهم في افريقيا الغربية، ينظر: عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص43.

[7] -محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون تاريخهم السياسي، د ن ،القاهرة ،1996،ط1، ص 30

ج/جدالة:

تعتبر من بين القبائل لكون أهلها بدو رحل يقيمون في الصحراء، ويعتمدون على مهنة الرعي،[1]وامتدت مضاربها حتى مصب نهر السنيغال، متخذة من مدينة اوليل[2] مركزا لها، وهي مدينة يكثر فيها الملح الذي تحمله القوافل الى مناطق السودان، وقامت جدالة بدورها بتاسيس الدولة المرابطية، وذلك حينما قام يحي بن إبراهيم الجدالي باصطحاب الفقيه عبد الله بن ياسين، الى قبائل الصحراء لتعليمهم أمور الدين، ثم انتقلت الزعامة منها الى لمتونة فيما بعد، وعلى الرغم من ذلك فان قبيلة جدالة حافظت على مكانتها ضمن المجتمع المرابطي، وحظي بعض افرادها بالمناصب العليا والمراكز الهامة في هرم السلطة، وساهمت القبيلة اسهاما كبيرا في الجهاد الذي خاضته الدولة المرابطية[3]

[1] -ابن خلدون، المصدر السابق، ص180.

[2]-هي منطقة ببلاد المغرب، تبعد عن مدينة لمطة (25)ميلا، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ،1977، دط ،ج1،ص 283.

[3] -البكري ،المصدر السابق، ص165.

الفصل الأول: التقشف ومظاهره.

المبحث الأول: مفهوم التقشف.

-تعريفه (لغة واصطلاحا)

- مرادفاته

المبحث الثاني: أشكال التقشف.

- اللباس

- الطعام والشراب

- العمران

المبحث الثاني: نماذج عن المتقشفين.

- عبد الله بن ياسين

- يوسف بن تاشفين

الفصل الأول: التقشف ومظاهره

المبحث الأول: مفهوم التقشف

1- تعريفه:

أ/ لغة:

قشف: مشتقه من الفعل يقشف، تقشيفا، فهو مقشف والمفعول مُقَشّف.

قشف: (مفرد): صفة مشبهة تدل على الثبوت من قشف.

قشف: (مفرد): صفة مشبهة تدل على الثبوت من قشُف[1].

قشف: قشافة، قشف، فهو قشف وقشف.

تقشف: (مفرد): مصدر تقشف.

متقشف (مفرد): اسم فاعل من تقشف.

(قشف): فلان قشفا أي ساءت حالته و ساءت حالته ويبس عيشه.

(قشف) من قشافة.

(قشف) قشف الله عيشه، ضيقه.

(تقشف) فلان تقشف أي ترك التنعم والترفه.

(الاقشف) عام أقشف، شديد القشف[2].

قشف: قشف، قشف وقشف: قشافة ساءت حاله ورثت هيئته، وضاق عيشه أي جعله خشنا ضيقا.

تقشف: قشف (ضد التنعم) وفي لباسه، تبلع بالمرقع والوسخ

- نقول عام أقشف، شديد[3].
- قشف: القشف محركة أي قذارة الجلد

[1] – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1429هـ/ 2008م ، ط1، ص1818.

[2] – مجمع اللغة العربية (الاداة العامة للمعجمات واحياء التراث)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425هـ /2004م، ط4، ص737

[3] – لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1908 (د ط)، ص 631.

- وقد قيل القشف: رثاثة الهيئة وسوء الحال، وضيق العيش، وان كان مع ذلك يطهر نفسه بالماء، وقد قشف كفرح و كرم.
- قشفا وقشافة فهو قشف بالفتح ويحرك، ورجل قشف ككتف لوحته الشمس أو الفقر فتغير.

وكرمان والواحدة بهاء: حجر رقيق أيّ لون كان[1].

وضيق العيش ويقال: أصابهم من العيش ضفف وحفف وقشف من شدة العيش، والمتقشف الذي يعيش على قدر حاله ويتبلغ قوت يومه[2].

ب/ اصطلاحا:

- يمكن القول عن التقشف هو الزهد في الحياة وعدم الاسراف في الدنيا وهذا لقوله تعالى:

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) [3]

- والمتقشف هو الشخص المتبلغ بقوت يومه، ويكون لباسه مرقع برقاعات متفاوتة، وهو الذي لا يهتم بما تلطخ به جسده ولباسه ومعنى هذا التواضع في اللباس وعدم الترفع وهذا مانستشفه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن زهير بن حرب حدثنا جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة واللفظ له حدثنا أبو معاوية ووكيع الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنّه أجدر ألاّ تزدروا نعمة الله عليكم". رواه مسلم[4].

وقدروا عن بن شعيب عن أبيه عن جده قال النبي صلى الله عليه وسلّم:" كلوا واشربوا وتصدّقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف، فإنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"[5]. حديث حسن.

---

[1] – الفيروز بادي (مجد الدين بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح ، محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ، 2008م، د، ط، ص 1326-1327.

[2] ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، المج الثاني عشر، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1863، ط1، ص110.

[3] – سورة الأعراف ، الآية 31.

[4] – أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح،د، ن، د، ت، طبعة مصححة ومقابلة ، ج1، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث 2963، ص 1354.

[5] – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، (د.م)، 1407هـ /1986م، د.ط.ج، كتاب اللباس، ص2424.

- عن المأثور عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعن غيرهم من كبار الصحابة والتابعين أنهم كانوا في غاية التقشف وتعمد ترك الطيبات من الطعام والشراب وكذا اللباس الحسن، لقد كانوا رضي الله عنهم أهل افقار حالهم معلوم أي لا ينفقون الا بقدر ما يملكون.

قال الله تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته فمن قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا)[1]

وقد عرف علي رضي الله عنه بسيرته في الزهد وإقامة العدل، وقد عاش رضي الله عنه عيشة أقرب إلى الخشونة والشقف أقرب منها إلى الرقة واللين، وكان يحمل عماله على الزهد والتقشف والرفق بالرعية[2].

- وأما المعروف من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فهو أنه كان يأكل ما وجد من رغيف الخبز وقيل أنه كان يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد تواضعا منه، وتارة يأكل أخشن الطعام كخبز الشعير بالملح، وتارة يجوع وتارة يشبع ليكون قدوة للمعسر والموسر، ولكن ما كان يهمه أمر الطعام كثيرا كان يعني بالشراب أكثر مثل شراب اللبن والماء[3].
- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يلبس المعصفر ولا يلبس القميص المكفف بالحرير، وكان يشرب في القصب وجرة مكسورة الرأس يجعل فيها الشيء، ووسادة من أدم محشرة بليف أو قطيفة ينام عليها[4].

– عند الصوفية:

التقشف والزهد لدى الصوفية هو التخلي وترك ملذات الحياة جامعة، سواء مالا أو خططا او مباهجا وفق ما ذهب اليه المتصوفة ابن العريف بقوله: ' هو حبس النفس عن الملذات وامساكها بعد تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، وعن فضول الشهوات ومخالفة داعي الهوى وترك مالا يعني عن كل شيء[5].

[1]– سورة الطلاق، آية 07.

[2]– عبد الحكيم الكعبي، موسوعة التاريخ الاسلامي عصر الخلفاء الراشدين، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2009م ، د.ط، ص230.

[3] – أحمد بن حنبل، كتاب الزهد، تح، تع، محمد جلال شرف، دار النهضة العربيةللطباعةوالنشر، بيروت، 1981م، د.ط، ص ص 35-37

[4] – المرجع السابق، ص 38.

[5] – بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية فالاندلس بين القرنين الخامس والسادس، البحرين، (ق11-12م)، دراسة في ظاهرة الانحراف، رسالة لنيل شهادة دكتراه في تاريخ الحوض العربي للمتوسط، 17م كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، معسكر، ص218.

- عاش المتصوفة حياة بسيطة فتواضعوا في طعامهم وسكنهم وملبسهم حيث اقتصر زادهم في الغالب على الشعير واللبن، فسعوا بذلك إلى عفة البطن وتشددوا في منع شهواته إلى درجة أنهم كانوا يؤثرون فيها الجوع على الأكل وكانوا لا يكون لمدة طويلة، وكانوا يتحرون أكل الحلال من الطعام حيث كان معظم طعامهم يرتكز على البقول والنبات والسمك لأنها أبعد الأطعمة عن الشبهة[1].
- نجد أن مفهوم التقشف والزهد عند الصوفية ينحصر في التخلي عن ملذات الحياة جامعة سواءا مالا أو خططا أو مباهجا ووفق ما ذهب اليه ابن العريف[2] في قوله ' هو حبس النفس عن الملذات وامساكها بعد تفريق المجموع، وترك طلب المفقود ، وعن فضول الشهوات ومخالفة داعي الهوى، وترك ما لا يعني عن كل شيء'[3]
- تحرى الصوفيون أكل الحلال من الطعام، كما عرفوا أيضا بتواضعهم في الطعام واللباس والمسكن، حيث اقتصر زادهم في أغلب الأحيان على الشعير واللبن[4]، حيث سعوا في ذلك إلى ما يعرف بعفة البطن وتشددوا في منع شهواته إلى درجة أنهم كانوا يفضلون فيها الجوع على الأكل وكانوا يمسكون أنفسهم عن الطعام لمدة طوية وهذا ما يدل على بساطة حياتهم التي كانوا يعيشونها.[5]
- خلت الحياة الصوفية من مظاهر الترف حيث شمل زهدهم الأماكن التي عاشوا فيها بحيث لم تحتوي غير حصير أو سجادة واتخذوا من الأماكن الخالية موطنا لهم كالجبال والبراري بحيث ابتعدوا عن المدن.[6]

---

[1] – بن خيرة رقية، المرجع السابق، ص 219.

[2] – هو أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي ولد 481بالمرية، من أعلام التصوف الأندلسي الزاهد، العارف، الامام، المري، المقرىء، صاحب المقامات والاشارات لديه العديد من الشيوخ اختص بصحبة ابي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال، غار منه قاضي المرية المعروف بابن الاسود مات مسموما دفن رحمة الله عليه، في الجامع القديم بوسط مراس في روضة قاضي عياض موسى بن حماد الصنهاجي سنة 536هـ ينظر، الذهبي الامام شمس الدين ابو عبد الله)، سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط ومحمد تميم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، د.م، 1981م، ط1، ج21، ص112.

[3] – كتاب النفائس ومحاسب المجالس، أخرجه وقدمه له، نهاد خياطة، مجلة المورد، العدد4، سوريا، 1981، ص684.

[4] –ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1995م، (د.ط)، ص104.

[5]– نفسه، ص18.

[6]– القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص137.

- **التقشف من الجانب الاقتصادي:**

هو مصطلح يشير في علم الاقتصاد إلى السياسة الرامية إلى خفض الإنفاق وذلك من خلال تقليص الخدمات العامة، وهو يهدف إلى التقليل من التبذير، وهو يعني تحجيم الاتفاق والتقليل منه.

ويعتبر التقشف فكرة خطرة باعتباره يتجاهل الجوانب الخارجية التي يخلقها وتأثير حياة شخص في خيارات شخص آخر.[1]

يمكن لأي فرد استخدام سياسة التقشف في حياته اليومية للتخفيف من مصروفه، كما تستخدمه بهدف التخلص من نفقاتها من خلال تسريح بعض المواطنين وتخفيض الرواتب، حيث تضطرها الظروف إلى تقليص نفقاتها.

إذا التقشف هو إجراء قد يفرض نفسه على القطاعية العام والخاص حيث تنخفض المداخيل وتصبح غير كافية لتغطية المصاريف.[2]

[1]– مارك بليث، التقشف تاريخ وفكرة خطرة، تز: عبد الرحمان إلياس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، الكويت، 2016م، (د.ط)، ص ص 35، 40.

[2] –مارك بليث، المرجع السابق، ص41.

- **التقشف من الجانب السياسي:**

هو برنامج سياسي تتبعه الدول بشكل اقتصادي يستهدف الحد من الإسراف من زيادة الإنفاق على السلع الاستهلاكية وتشجيع الإدخار والعمل على مضاعفة الإنتاج، علاجا لأزمة اقتصادية تمر بها الدولة والغرض من هذا البرنامج هو الاحتيال.[1]

2- مرادفات كلمة التقشف:

أ/ الزهد:

– لغة:

يعرف على انه عدم الحرص على الدنيا، وعدم الرغبة في الشيء والإعراض عنه.[2]

ويقال زهد عنه بمعنى تركه وأعرض عنه، قال الله تعالى: وكانوا فيه من الزاهدين.[3] ويأتي الزهد بمعنى التعبد فيقال: فلان يتزهد بمعنى يتعبد والزهد في الدين خاصة والزهادة فالأشياء كلها.[4]

ونجد قول الإمام أبو حامد الغزالي[5] في الزهد: "أن الزهد هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعارضة وبيع وغيره، فإنما عدل لرغبته عنه يسمى هو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوب فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا".[6]

وقيل معنى الزهد: "هو ترك الإعراض عن المزهود فيه، وبداية الترك والإعراض وتمكنه من الاستئناس بتركه ونهايته دوام نسيانه حتى لا يخطر بالبال، ونهايته العظمى احتقار الزهد والمزهود فيه فلا يرى الزاهد شيئا ولا يلتفت إليه، وما دامت الأشياء قائمة في النفس فالزهد فيها مرغوب أو مطلوب.[7]

---

[1] –مارك بليث، المرجع السابق ، ص43.

[2] –ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص196.

[3] –سورة يوسف آية (20).

[4] –ابن منظور، المصدر السابق، ص196.

[5] –أبو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ولد بطوس سنة 450هـ، تفقه على يد عدة شيوخ منهم أبي المعالي الجويني، له عدة مؤلفات في الفلسفة، والعقائد وغيرها، أشهر كتبه إحياء علوم الدين، توفي 505هـ بطابران؟ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص ص323- 343.

[6] –أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، 1432هـ- 2011م، ج8، ص99.

[7] –أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية لدراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، (د.ط)، ص94.

- **اصطلاحا:**

هناك عدة تعاريف نذكر من بينها:

قول ابن حنبل: "الزهد هو عدم الفرح بإقبال الدنيا ولا حزن على أديارها".[1]

والزهد هو الرغبة عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى، وهو أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها نفاسة الآخرة.[2]

قال الله تعالى: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور".[3]

وأيضا قوله تعالى: "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب".[4]

وقال يحي بن معاذ: "الزهد يورث السخاء بما تملك والحب يورث السخاء بالروح" ويقال الزهد هو فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك جليا في الصحابة والسلف.[5]

وعن بكر العابد: قال سمعت سفيان الثوري يقول: "ازهد في الدنيا ونم" وعن عبد العزيز القرشي سمعت سفيان الثوري يقول: "عليك بالزهد يبصرك عورات الدنيا[6]". لقوله تعالى: "ما عندكم ينقض وما عند الله باق".[7]

ويقال إذا زهد العبد في الدنيا أثنا الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وراءها ودواءها.[8]

---

[1] -محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى ق5هـ ، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، (د.ط)، ص7.

[2] -أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ص212.

[3] -سورة آل عمران الآية 185.

[4] -سورة الشورى الآية 20.

[5] -ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ)، المقدمة، تح وتع: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي للنشر والتوزيع، دمشق، 1425هـ 2004م، ط1، ج2، ص225.

[6] -عبد الحليم محمود، أقطاب التصوف لسفيان الثوري، دار المعارف، القاهرة، دس، ط03، ص158.

[7] -سورة النحل الآية 96.

[8] -عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص160.

ب/ البذاذة:

من بذذ، بذذت، تبذذاً، وبذاذة، وبذوذة: رثت هيئتك وساءت حالتك.[1]

وقد حدثنا بن معاذ الحلبي ثنا عبد الله بن رجاء أن سعيد بن عنيسة بن أبي الحسام حدثني صالح بن كيسان أن عبد الله بن أبي أمامة بن ثعلبة حدثه عن أبيه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَان} وهذا بمعنى التقشّف. [2]

- البذاذة: هي رثاثة الهيئة، قال الكسائي: هو أن يكون الرجل متقملا رث الهيئة، يقال منه: رجل باذ الهيئة وفي هيئته بذاذة، وقال ابن الأعرابي: البذ: الرجل المتقمل الفقير.[3]

قال: البذاذة أن يكون يوما متزينا ويوما شعثا، ويقال هو ترك مداومة الزينة، وحال بذة أي: سيئة، وقد بذذت بعدي بالكسر، فأنت باذُ الهيئة وبذُ الهيئة أي رثها بين البذاذة والبذوذ.[4]

- قال ابن الأثير: "أي رث الهيئة اللبسة أراد التواضع في اللباس وترك التبجح به".
- البذبذة: التقشف: في الحديث بذّ القائلين أي سبقهم وغلبهم بذهم بذّا ومن صفة مشيه صلى الله عليه وسلم يمشي الهوينا يبذ القوم إذا سارع إلى الخير أو مشى إليه.[5]

[1] -ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص44.

[2] -الطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير،تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،1404هـ، (د.ط)، ج1، ص272.

[3] -ابن منظور، المصدر السابق ص44

[4] -نفسه، ص44.

[5] -نفسه، ص44.

ج/ الفقر:

-لغة:

- الفَقرُ والفُقرُ في اللغة هو ضد الغني مثل الضعف والضعف، والفقر لغة رديئة، قال ابن سبده: وقدر ذلك أن يكون له ما يكفي عياله ورجل فقير من المال، وقد فَقُرَ فهو فَقِيرٌ والفقير عند العرب المحتاج.[1]
- والفقر هو عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا، وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا.[2]

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.[3]

- والفقير في كلام العرب المفقور الذي نزعت فقَرَةٌ من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر فأصبح كبير الفقار، كما ورد الفقر بمعنى الحاجة والعوز والفاقة والهم فالفقر هو الحاجة ومصدره الافتقار.[4]
- ونقول الفقر: أن يحَزَّ أنف البعير، وفقر أنف البعير يفقره، ويفقره فقرا، فهو مفقورة، وفقير إذا حزّه بحديدة حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه.[5]
- وقيل الفقير مخرج الماء من القناة التي تجري تحت الأرض، والفقير تعني أيضا البئر التي تغرس فيها السفيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل، وهو الطين.[6]

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص60.

[2] -أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ج8، ص11.

[3] -سورة فاطر، الآية 15.

[4] -عبد السلام الخرشي، فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة، أطروحة دكتوراه في القرآن والحديث، منشورة، دار المؤيد، 2002، ط02، ص19- 21.

[5] -ابن منظور، المصدر نفسه، ص64.

[6] -نفسه، ص63.

-اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الفقر وتنوعت يمكن حصرها فيما يلي:

- يقول أبو القاسم أحمد بن محمد بن جزي الغرناطي (741هـ/ 1443م): أن الفقراء هم الذين لا يملكون ما يكفيهم.[1]
- يمكن القول أن الفقر في الإصلاح يعني عدم ملك الإنسان ما يكفيه من مال، مع عدم القدرة على الكسب والعمل.[2]
- نجد كلمة الفقر في القرآن ذكرت عدة مرات فعندما نأتي لتعريف الفقر فالمفهوم الشرعي نجد أنه يتوقف عند آراء العلماء المسلمين في موضوع الصدقات، وقد وردت أيضا كلمة الفقر في عدة آيات للدلالة والحث على البر والإحسان للفقراء وتبين أنهم أولى الناس بالصدقات مصداقا لقوله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَات فَنِعمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ}.[3]
- كما وردت في بعض الآيات تحذير من إتباع الشيطان وأتباعه لقوله عزّ وجلّ: {الشَّيْطَانَ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}.[4]
- يقول الدّكتور حمي عبد العظيم أن الفقر معناه أن الفرد لا يمتلك شيئا أما الشعوب الفقيرة هي التي يكون أغلبية مواطنيها من المعدمين، وذلك تمييزا لهم عن أولئك الأغنياء الذين يمتلكون معظم وسائل الإنتاج وهذا من ناحية الجانب الاقتصادي.[5]

[1] -عبد السلام الخرشي، المرجع السابق، ص62.

[2] -عبد السلام حمدان اللوح، محمود هاشم عنبر علاج مشكلة الفقر (دراسة قرآنية موضوعية)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية، مج17، ع1، يناير، 2009، ص320.

[3] -سورة البقرة الآية 271.

[4] -سورة البقرة الآية 268.

[5] -عبد العظيم حمدي، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1995، (د.ط)، ص10.

المبحث الثاني: أشكال التقشف:

1. في اللباس:

يشكل اللباس لدى المرابطين دور مهم في حياتهم حيث يجسد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من المبادئ الاجتماعية فقد تنوع اللباس حسب تنوع الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع المرابطي.[1]

أمّا بالنسبة للباسهم فقد غلب على المرابطين طابع الخشونة ولبس الدراعة[2] نذكر من ملابسهم:

- العمائم:

وهي لباس مرابطي حيث ضربوا فيه الأمثال في قولهم: طابع هابط يحل عمام في رأس مرابط[3]، نجد أنّ أمير الدولة المرابطية كان يلبس لباس الصوف فقط[4]، ولقد كانت العمامة محل استهزاء من طرف الطبقة العامة إلا أنها كانت رمزا وتاجا عربيا لبسها السادة والرؤساء والأمراء، ونجد المقري في هذا الصدد يؤكد بقوله: "لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا مفتيا مشارا إليه إلا وهو بعمامة"[5]

وقد اتّخذ المرابطون العمامة ذات الذؤبات ووضح ابن منظور أن الذؤبة هي أعلى كل شيء وأنها تستعمل للعزة والشرف فيقال ذؤابة قومهم في أشرافهم وأعلامهم.[6]

---

[1] -القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، 1993، ط1، ص75.

[2] -ثوب من الصوف أو جهة مشقوقة المقدم. ينظر: المعجم الوسيط، ج1، ص290.

[3] -أبو يحي عبد الله بن محمد الزجالي امثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلة بالشؤون الثقافية، مطبعة الثقافة الجامعية، فاس، 1971، 1391، (د.ط)، ص246.

[4] -ابن الأحمر الغرناطي: بيوتات فاس الكبرى، نشر عبد الوهاب بن منصور، (د.ن)، الرباط، 1972، (د.ط)، ص60.

[5] -المقري التلمساني أبو العباس بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1988م، (د.ط)، ج1، ص222.

[6] -ابن منظور، المصدر السابق، مج1، ص ص 223- 242.

- **اللثام:**

يعتبر اللثام من العناصر الهامة في لباس المرابطين وهذا على حساب ما أورده ابن عبدون " ... ولا يتلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي"[1]

وقد وجد هناك اختلاف حول سبب وضع اللثام، فهناك من ربطه باعتقادهم أن الفم عورة يجب إخفاؤه.[2]

في حين يرى البعض الآخر من المؤرخين أن سبب وضع اللثام أو "التلثم" هو وسيلة للتنكر والخداع في الحروب.[3]

وقيل أن سبب لثامهم حسب ما ذكره سعدون عباس أن جماعة قليلة آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولما غلبهم أهل الكفر اضطروا لوضع اللثام وهذا قصد التمويه والهرب منهم[4]

في حين يرى ابن رشد[5] في فتواه أن سبب تلثم المجتمع المرابطي إلى العادات والأعراف، ثم تربطها الدعوة الإصلاحية، فعندما سئل الفقيه الأندلسي عن زي المرابطين من التلثم هل هو واجب لزوما أم مستحب أم يكره، فأجاب بأن تلثم المرابطين هو زيهم الذي اختاروه ونشأوا عليه وتوارثوه خلفا عن سلف.[6]

لبس المرابطون أيضا البرنس[7] أو المعروف بالبرنوس وهو يعتبر من أهم الألبسة التي لا يمكن الاستغناء عنها، مادته الأولية التي يصنع منها هي صوف الأغنام[8]

---

[1] –حمدي عبد المنعم، محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس خلال عصري المرابطين، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية)، مصر، 1999، دط، ص32

[2] –ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101.

[3] –مجهول، المصدر السابق، ص19.

[4] – سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، (د.ط)، ص13.

[5] –هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن رشد (520هـ– 1126م/ 595هـ– 1198م)، هو فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفيزيائي أندلسي نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس، مات محبوسا بداره في مراكش. ينظر: الذهبي سير أعلام النبلاء، ج21، ص308.

[6] –نفسه، ص310.

[7] –هو عبارة عن ثوب رأسه ملتصق به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص31.

[8] –ابن خلدون، مصدر سابق، ص89.

عرفه الجوهري: "أنه معطف مقفل مزود بقبعة يلبس أثناء السفر، وهو مصنوع من قماش لا ينفذ ماء فيه".[1]

كان اللباس في العهد المرابطي يجسد سلوك الصوفي حيث عرف المتصوفة بالزهد في الدنيا وترك الورع، فكان لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر.

حرص المتصوفة على التقشف في اللباس كمظهر من مظاهر التقوى وحسن السيرة، فقد ظل اللباس يشكل رمزا من رموز المتصوفة ومن بين أهم الألبسة التي لبسها الصوفية.[2] نذكر:

- الخرقة: تعني القطعة من خرق الثوب والخرقة الممزقة منه، ويقال حرقت الثوب إذا أشققته، ويقال للرجل الممزق الثياب منحرف السربال.[3]
- أما بالنسبة للباس القدمين نجد الخف وهو ما يلبس من القدمين إلى الكعبين ويصنع من الصوف والكتان وغيرها.[4] ونجدّ أيضا البلغة التي فراشها من خشب وهي عبارة عن نعل مشدود عليه رقعة حبال تنوعت أشكاله.[5]
- أما عن لباس المرأة: لقد احتلت هذه الأخيرة مكانة مرموقة في المجتمع، كانت المرأة المرابطية تخرج سافرة الوجه أي لم تتخذ اللثام، ويبدو أن عادة سفور المرأة نشأت معهن في مواطنهن الأولى في الصحراء.[6]
-
- ارتدت المرأة المرابطية على رأسها ما يعرف بأسنمة البخت المائلة وهو ثوب مصنوع من النسيج كان يزخرف بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة أما لونه أحمر حبا للرمان ولأن المرأة المرابطية تفضل الألوان الزاهية.[7]

---

[1] –دوزي رينهارت: المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية، تر: دكتور أحمد فاصل، المكتب الدائم للتنسيق التغريب في الوطن العربي، الرباط، المغرب، 1958، (د.ط)، ص66.

[2] –ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1984، ط1، ص19.

[3] –ابن منظور،المصدر السابق، مج16، ص78.

[4] –عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين –دراسة اجتماعية اقتصادية (480هـ 540هـ/ 1056م- 1145م)، رسالة لنيل دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009، ص232.

[5] –نفسه، ص233.

[6] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص354.

[7] –عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص320.

- ولبست المرأة المرابطية أيضا المقنع وهو عبارة عن غطاء يوضع على الرأس وكانوا يتحفظن على أنفسهن أن ينكشف رأسهن أو يبين وجوههن لغير محارمهن.[1]
- وقد ظهر من قول المهدي بن تومرت[2] فإن المرأة كانت تلبس لباسا يشف على جسمها، وتجعل شعرها في غطاء وتسريحة شبهها بـ "سنم الجمل" وهذا عبارة عن غطاء مصنوع من نسيج يبلغ طوله حوالي نحو ذراع تعصب به المرأة رأسها، ويرتفع ويلتف على شكل سنم الجمل وهو بنحو ربع ذراع.[3]
- ارتدت المرأة المرابطية أيضا الخمار وملابس مصنوعة من الحرير وصنع هو الأخير من الحرير وتختلف الأقمشة الحريرية من حيث الدرجة فالجودة والشفافية والتمكن فتضع المرأة الخمار على رأسها وينسدل بعض الشيء على وجهها، واستعملت كذلك "المعاجر" وهو أشبه بما يسمى الآن "الشيفون" وهو حرير شفاف يغطي أو يشد به الرأس.[4]

2. في الطعام والشراب:

اختلفت الأطعمة حسب الشرائح الاجتماعية وحسب المناطق والبيئات وكذلك حسب الطبقات، ولربما من بين الأطعمة التي تناولها المرابطون نذكر طعام آسماس الذي يعتبر طعام وطني كان يؤكل في المناسبات الهامة.[5]

- اكتفى سكان الصحراء خاصة القبائل الصنهاجية بتسغيف اللحم الجاف بعد طبخه وصب الشحم المذاب أو السمن عليه، واقتصروا على شرب لبن الإبل.[6]
- بينما تخصصت لمتونة في طعام عرف باسم 'أسلو' باللهجة البربرية ويصنع عن طريق قلي الحنطة قليا معتدلا، ودقها حتى تصير جريشا ثم تمزج بالسمن والعسل، ويخلط جميع ذلك على النار وتوضع في المزواد فتصبح بعد ذلك طعاما شهيا.[7]

---

[1] –محمد بن عبود ومصطفى بن سباع، جوانب من المجتمع خلال العثري الطوائف والمرابطينمن خلال نوازل ابن الحاج، مجلة كلية الآداب، تطوان، المغرب، 1994، ص ص 90- 121.

[2] –هو محمد بن عبد الله بن تومرت، ولد بقرية تدعى أجيلي أن وارغن، وهو من قبيلة تسمى هزغة مؤسس الروحي للدولة الموحدية، توفية سنة 524هـ. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245.، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص172.

[3] –عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص58.

[4] –عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ط01، ص158.

[5] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص423.

[6] –القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص70.

[7] نفسه، ص70.

- أمّا بالنسبة لبعض المناطق الأخرى فقد ظل الخبز أهم مادة في تغذية السكان اعتبر الخبز المصنوع من الحنطة المطبوخ في التنور، أفضل الأنواع كلها، ويليه بعد ذلك خبز الشعير، ثم خبز الأرز فالذرة والجاروس .. الخ.
- وكانت معظم المأكولات تهيأ داخل البيوت كالكسكس الذي يخلط بالسمن والقديد والبصل، كما شاعت أكلة الثريد باللبن أو اللحم وأحيانا بالفول والسمن وكذلك المجبنات بالعسل.[1]
- ومن أصناف الأطعمة الشائعة في العصر المرابطي نجد أيضا العصيدة و الهريسة المصنوعة من القمح أو الأرز أو فتات الخبز أو الشحم احيانا ثم رغائف الدرسات ،و الدشيشة و المغراس و هو غذاء سريع الهضم طيب و شهي ،يمنع من لحم الفخذ،ثم الاحراش الذي يمنع من لحم مدقوق مع الأبزار والثوم، ويسمى أيضا الإسفيريا وهو على أشكال مختلفة.[2]
- اهتم المرابطون بالطعام حيث حرصوا على المحافظة على نظافة المحيط الذي يتم فيه تجهيز الطعام، فاختاروا المكان النظيف وتجنبوا استعمال القدور الفخارية وعمدوا إلى غسل الأواني قبل استعمالها.[3]
- وقد استحسن أطباؤهم الطبخ في أواني مصنوعة من الذهب والفضة، أما إن تم الطبخ في أواني الحديد فيجب غسلها أولا للمحافظة عليها من الصدأ، أما بالنسبة لأواني النحاس فكان يمنع الطبخ فيها لأنها تفسد الأكل، أما الأواني الزجاجية فكان يطبخ فيها لكونها لا يفسد الطعام فيها الطعام.[4]
- لم يكن المرابطون يعدون الطعام لمجرد إشباع النفس، بل ارتبط ذلك بصحتهم وقوة أجسادهم، فتجدهم يختارون من الخضر والفواكه ما هو صحي ومعالج لبعض العلل والأمراض، وقد استعملوا من التوابل والبهارات ما هو مفيد لصحتهم.[5]

[1] -نفسه، ص71.

[2] -نفسه، ص72.

[3] -ملياني زينب، الأطعمة والأشربة بالمغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين، مجلة انسنة للبحوث والدراسة، ع 7،جوان 2013، ص93.

[4] -نفسه، ص94.

[5] -نفسه، ص94.

- تباين الطعام وتنوع في العصر المرابطي من مرحلة لأخرى وقد تأثر كذلك بأوضاع الدولة حيث قدم لنا المرادي[1] قاضي المرابطين بالصحراء ثمن بالغ الأهمية حيث أخذ فيه ينصح الأمراء بالاعتدال في الطعام حيث قال: "أول ما أوصيك به ... أن تأخذ نفسك بالاعتدال في جميع الأحوال في مطعمك ومشربك ... واعلم أن بطنك لا يسع جميع الأطعمة فاختر له أفضلها وفضل الطعام من عدة أوجه، أولها: قرب وجوده، والثاني: تمام نفعه، والثالث: قلة ضرره، والرابع: لذة طعمه، والخامس: ذكاء ريحه، والسادس: إحكام صنعه، فإن لم تجمع به من هذه الأمور في طعامك فاعمد إلى أقرب الأطعمة من نفعك، وأشبهها بحالك، واعلم أن ما أخللت به من هذه الأوصاف التي وصفتها لك مضر بك من نفسك، ومزر عليك عند مأكلك وأن مطاعم الرجال يستدل بها على عقولها، ويتشهد على همتها ومروءتها، فإنه لا يحكم آراءه من ليس يحكم غذاءه"[2]
- أمّا بالنسبة للمشروب والفاكهة التي تعتبر من الكماليات لا الضروريات إلا أنها تجعل المائدة أكثر بهاءاً وقبولاً ومن بينها السكنجبين وشراب التفاح وشراب الرمان وشراب الورد.[3]

أمّا بالنسبة للقهوة والشاي فلم يعرفا في العصر المرابطي.[4]

[1] –هو أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ولد في القرن 5هـ ونشأ في القيروان كان رجلا نبيها، عالما، إماما كنا ذو حظ وافر في البلاغة والفصاحة. توفي سنة هـ. ينظر، المرادي الحضرمي (أبي لكر محمد بن الحسن)، الإشارة في تدبير الإمارة، تج: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ، ط1، ص6.

[2] –نفسه، ص ص 24- 25.

[3] –مريم لعناني، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، (د.ت)، ص131.

[4] –القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 74.

3. في العمران:

لم يكن لدى المرابطين ذوي الأصول الصحراوية ما يعرف بالعمارة، لأنهم كانوا يسكنون الصحراء هذه الأخيرة كانت تفتقر العمارة، لأن الأمر لإنشائها يتطلب عدة وسائل منها وجود الأمن والاستقرار السياسي و كذا توفر الأموال، ولكون الصحراويين في معظم الحالات تميزوا بالتنقل والترحال بين المناطق لعدة أسباب تتحكم بها عوامل متعددة[1] سواء أكانت من الناحية الاقتصادية السياسية، أو الجغرافية أم المناخية، لهذا الغرض لم يكن لدى القبائل الصنهاجية حواضر أو عمارات، فضلا عن هذا فالدولة المرابطية كان يغلب عليها طابع الزهد والتقشف وهذا بسبب طبيعة الحركة الدينية.[2]

[1] -خليل جليل بخيت، مهاوش وخالدة عباس نصيف جاسم، المرابطون وأثرهم الحضاري والفكري في بلاد الأندلس من (-551هـ)، مجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، جماعة بغداد، العدد 220، 2017، 1431هـ، ص310.

[2] -نفسه، ص311.

المبحث الثالث: نماذج عن المتقشفين:

1. عبد الله بن ياسين:

هو عبد الله بن مكوك علي بن ياسين الجازولي أبوه صنهاجي واسم أمه تدعى (تين يا زامان) من قرية تسمى ماتاوت في طريق الصحراء مدينة غانة، كان حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة، مشاركا في العلوم.[1]

- يذكر بعض المؤرخين أن هطذا الأمير يدعى الجوهر، كما نسبه البعض الآخر إلى قبيلة جزولة، وجزولة كانت تنزل قرب جبال درن في قاصية المغرب.[2]
- درس على فقيه السوس وحاج بن زلوا [3]، رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين، واجتهد في تحصيل العلوم الإسلامية، ثم أصبح من خيرة طلاب الفقيه وحاج بن زلوا، فعندما طلب أبو عمران الفاسي[4] من تلميذه حاج ابن زلوا أن يرسل مع يحي بن براهيم فقيها عالما، ديّنا، تقيّا، مربيا، فاضلاً، وقع الاختيار على عبد الله بن ياسين الصنهاجي الذي كان عالما بتقاليد قومه وأعرافهم وبيئتهم وأحوالهم.[5]
- دخل عبد الله بن ياسين مع يحي بن براهيم في مضارب ومواطن ومساكن الملثمين من قبيلة جدالة عام 430هـ، فاستقبله أهلها واستمعوا له وأخذ يعلمهم كان تعليمه دائما باللغة العربية، لاقى عبد الله كثيرا من الصعوبات والعوائق فقد وجد أغلبية الملثمين لا يصلون لا يعرفون من الإسلام إلا إسمه،

[1] –حامد محمد خليفة، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، دار القلم، دمشق، سوريا، 1424هـ، 2003م، ط01، ص27.

[2] –حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص104.

[3] –هو محمد بن زلوا اللمطي يقيم ببلدة سلكوس منظم أعمال والتقوى وتدريس العلم والدعوة إلى الخير، فقيه درس على يده عبد الله بن ياسين. ينظر: زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منسأة المعارف، الإسكندرية، 2008، ط1، ج4، 173.

[4] –هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي الحاج الغفجومي الفاسي القيرواني الفقيه الحافظ العالم الإمام المحدث أصله من مدينة فاس وهو من بيت مشهور بالعلم والنباهة، كانوا يعرفون ببني أبي الحجاج. ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة، النور الزكية في طبقات المالكية، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ط1، ص312.

[5] –علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة إقرأ، القاهرة، 142هـ- 2006م، ط1، ص21.

وعم الجهل عليهم وانحرفوا عن معالم العقيدة الصحيحة وتلوثت أخلاقهم وأحكام دينهم واصطدمت تعاليمه بمصالح الأمراء والأشراف، فثاروا عليه وكادوا يقتلونه إلا أنه ترك جدالة.[1]

- ثم اتجه بمهمته نحو قبيلة لمتونة حوالي سنة 430هـ، حيث ضرب لهم مثلا في التقشف والقناعة، فكان يلبس خشن الثياب واكتفى من الطعام بالقليل المتواضع فاستثقل اللمتونيون أن تحرم عليهم أشياء كانت شهواتهم لا ترضى بدونها.[2]
- تميز عبد الله بن ياسين بعدة صفات فطرية واكتسب في حياته صفات عقلية وصفات حركية من بين هذه الصفات نذكر، الذكاء والشجاعة والمهابة والأمانة والحياء والحلم كما تميز بالصدق في أقواله وأفعاله ومخالطته للناس فكان صادقا في دعوته وفي عرضها ولمس الناس صدقه من خلال أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر كان يضبط نفسه ويبتعد عن النفور والانفعال وظهر ذلك جليا في شخصيته من خلال الحروب كما كانت له إرادة قوية كان ذا همة وهزيمة لا تهزها الجبال.[3]
- كانت له القدرة على الفهم والاستيعاب والنظر الثاقب والقدرة على الوصول للقرار الحاسم دون أي تردد كان ذا شعور بالمسؤولية لأنه كان داعية نذر نفسه لله ولرسوله ولدينه. شخصيته كانت لها القدرة في التعامل مع مختلف أصناف الناس من أمراء وعوام وتجار ... الخ.[4]
- ولقد استشهد الفقيه والإمام عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م أثناء قتاله برغواطة بأقرب من مدينة الرباط في منطقة زعير، ودفن هناك بموضع يسمى تيلمت على ربوة تطل على وادي كريفلة أحد فروع وادي أبي الرفراق. ولا يزال قبره في هذا المكان ويسميه أهالي تلك الناحية سيدي عبد الله مول الغارة.[5]

[1] -علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص21.

[2] -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، جار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (د.م)، 2000م، (د.ط)، ج1، ص216.

[3] -علي محمد الصلابي، نفسه، ص ص 21- 31.

[4] -نفسه، ص ص 32- 34.

[5] -العبادي أحمد مختار، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ط1، ص103.

فالمرابطون كما هو واضح من أسمهم وأعمالهم، كانوا قبل كل شيء أصحاب رسالة دينية يريدون تحقيقها وبعد وفاة عبد الله بن ياسين استكمل أبو بكر بن عمر اللمتوني.[1]

- أقام عبد الله بن ياسين ما يعرف برباط[2] ابن ياسين في الحوض الأدنى لنهر السنغال فهو يدل على أهداف ابن ياسين التي أعد لها موقعه قريب من غانة الوثنية فهو مهدد بذلك للأعداء، ولابد للجماعة المقيمة فيه من الجهاد، وهو غير بعيد عن ديار الملثمين.[3]
- كان الرباط الذي أنشأه الداعية الرباني منارة يشع منها نورها وخيرها وعلمها في تلك الصحاري القاحلة، فأصبح قطبا جذابا، عاملا على جذب أبناء قبائل صنهاجة إليه، ووفر الأمن والاستقرار في تلك الديار الصحراوية البعيدة، فأصبحت القوافل تمر بأمن وسلام دون أن يتعرض لها أحد بسوء وقد أدى ذلك إلى ازدهار التجارة.[4]
- يعتبر الفقيه بن ياسية من علماء أهل السنة والجماعة، مالكي المذهب واستمد أصول فهمه من أصول المالكية التي كانت ولازالت ضاربة جذورها في قلوب أهالي الشمال الإفريقي.[5]
- وفاته:

عند محاولة عبد الله بن ياسين فتح منطقة تامسنا[6] لقى معارضة كبيرة من طرف قبائل برغواطة ونشبت بين المرابطة والبرغواطيين وقائع شديدة.[7]

---

[1] –هو أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن ترجوة بن ورتاسن بن منثور بن مصالة بن أمية بن وتمالي الصنهاجي اللمتوني، توفي بعد وفاة أخيه، تمت بيعته سجلماسة في أوائل شهر محرم عام 450هـ 1058م. ينظر ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص ص14– 17.

[2] –هو أشبه بمدرسة لتخرج الرجال بمنزلة النواة الدولي وإعادتهم إلى الإسلام الصحيح لإنشاء الدولة، وقد وصف الأستاذ حسين مؤنس الرباطات فقال: تحيط بالرباط سور مرتفع، وقوم أركانه على مسافات منه أبراج. ينظر: القيرواني رفيق، تاريخ إفريقيا والمغرب، تح: محمد دينهم الغرب، دار القرجاني، القاهرة، 1414هـ، 1994م، ط1، ص 34،عبد المقصود أحمد محمد الدعاية السياسية والإعلام في بلاد المغرب الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ج2، ص97.

[3] –علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص42.

[4] –نفسه، ص43.

[5] –نفسه، ص ص43– 44.

[6] –هي منطقة ممتدة على طول الساحل الأطلنطي ما بين كل من وادي أبو الرقراق الربوة حوج شمالا ووادي أم الربيع جنوبا وهذه المنطقة غنية بمياهها و اوديتها المحيطة منعزلة عن بقية بلاد المغرب . ينظر: زغلول سعيد عبد الحميد، المرجع السابق ،ص 218

[7] –عنان محمد عبد الله، دول الطوائف، العصر الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1389، ط2، 307.

2- يوسف بن تاشفين:

- هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور مصالة بن أمية بن وتلمى بن تلميت الحميري الصنهاجي اللمتوني ولد سنة 400هـ ببلاد الصحراء.[1]
- كان يوسف أسمر اللون، ومعتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، رقيق الصوت، أكحل العينين، أقنا الأنف، له وفرة تبلغ شحمة الأذن، مقرون الحاجبين، أجعد الشعر امتاز بالقوة في التدين وكرم الأخلاق والورع والعدل والشجاعة والنجدة وسداد الرأي والحزم.[2]
- يقول فيه صاحب الحلل الموشية: "إن يوسف بن تاشفين يجمع بين جمال الطلعة وجمال الجسم وبين أبدع المواهب، كان بطلا شجاعا جدا حاذقا جوادا كريما، زاهدا في زينة الدنيا، عادلا متورعا متقشفا.[3]
- في حين يرى عبد الواحد المراكشي أن يوسف بن تاشفين كان من أعظم القادة في الإسلام في كل العصور، وقد كان رجلا كامل العقل بعيد الذكاء هادئ الطبع عميق الإسلام كما كان رجلا متواضعا بسيطا في كل شيء.[4]
- احتقر يوسف مظاهر الترف وهذا ما أكسبه محبة شعبه وتقوى في أنفسهم عواطف التوفير والشرف، وكان حليما يحب الصفح عن الذنوب مهما كبرت ما عدا الذين يرتكبون الخيانة بحق الدين فلا مجال للعفو عنهم.[5]
- تلقى يوسف العلوم في طفولته من أفواه المحدثين والوعاظ، إذ أن المدارس لم تكن موجودة كانت نادرة في الصحراء، ولم يتعمق في العلوم الدينية لأن المسائل المعقدة كانت من مهام الفقهاء.[6]

---

[1] -ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص137.

[2] -نفسه، ص136.

[3] -مجهول، المصدر السابق، ص59.

[4] -عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 47- 50.

[5]- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ط1، ص35

[6]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص37.

لم تؤثر قساوة الصحراء وخشونتها على إحساس يوسف فقد كان مرهف الشعور يتعشق الجمال أينما وجد ويختار نساءه من الجميلات، وأولى زوجاته زينب بنت إسحاق النفزاوية.[1]

عاش يوسف بن تاشفين حياة بسيطة على طريقة البربر إذ يذكر ابن أبي زرع: "أنه كان مواظبا على الجهاد مؤيدا، منصورا، جوادا، كريما، شيخا زاهدا في الدنيا متورعا عادلا متقشفا على ما فتح الله عليه من الدنيا، أما عن معاشه فقد تمثل طعامه في خبز الشعير والذرة، ولحوم الإبل وألبانها طوال حياته إلى أن توفي، أما عن ملابسه فقد كان لباسه الصوف فكان يرتدي ثياب الصوف الخشنة".[2]

- تقلد ابن تاشفين عدة مناصب عسكرية حيث تولى حكم دولة الملثمين بالنيابة عن ابن عمه أبو بكر عمر اللمتوني.
- قام بعدة أعمال منها: فتح المغرب الأقصى الشمالي وانتزاعه من يد الزناتيين كما أعاد فتح فاس، ونظم المساجد والفنادق، وأصلح الأسواق وخرج من فاس عام 463هـ إلى بلاد ملوية وفتحها واستولى على حصون وطاط ومن بلاد طنجة، كما لقب بلقب الإمارة.[3]

[1] –سعدون عباس نصر الله ، المرجع السابق ص 37

[2] –ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص87.

[3] –علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي مرابطين والموحدين، في الشمال الإفريقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)، 1430هـ- 2009م، ط3، ص71.

-وفاته :

- في سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة التي مات منها وهو بمدينة مراكش، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعفه إلى أن توفي رحمه الله في مستهل شهر محرم سنة 500هـ، 1106م، وقد بلغ من عمره مئة سنة.[1]
- وقد تحدث ابن الخطيب عن وفاته، فقال: "توفي رحمه الله بمدينة مراكش يوم الاثنين مستهل محرم سنة خمسمائة".[2]
- أما ابن الأثير فذكر عن وفاته في عام 500هـ: "في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ملك المغرب والأندلس، وكان حسن السيرة، خيرا، عادلا، يميل إلى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم".[3]
- توفي يوسف رحمه الله تعالى بعد أن بلغ من العمر مئة سنة وقد عاش حياة مليئة بالجهاد والزهد والورع والتقوى، ووحدة الكلمة، ونصرة الإسلام، وتخليد عدة أعمال منذ توليه حكم دولة المرابطين، إضافة إلى بساطة عيشته وجهاده في سبيل الله، وكان من بين الرجال المميزين الذين أنجبتهم الصحراء.

[1]- ابن أبي زرع المصدر السابق، ص156.

[2] -ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة. تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1398هـ- 1977م، ط1، ص353.

[3]- ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، تح: محمد العرب، المكتبة العصرية، 1426هـ- 2005م، (د.ط)، ج2، ص2231.

الفصل الثاني: التقشف عند المرابطين قبل قيام دولة المرابطين

المبحث الأول: الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبل دخول المرابطين

- الأوضاع الاجتماعية
- الأوضاع السياسية والاقتصادية

المبحث الثاني: أوضاع المغرب بعد دخول المرابطين

- الأوضاع الاقتصادية "نموذجا"
- آثار المرابطين بالمغرب

الفصل الثاني: التقشف عند المرابطين قبل قيام دولة المرابطين

المبحث الأول: الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبل دخول المرابطين:

1. الأوضاع الاجتماعية:

- عاشت القبائل البربرية قبل قيام دولة المرابطين ظاهرة اجتماعية عرفت بالبداوة وذاك أن سكان هذه المناطق لا يستطيعون الاعتماد على موارد الأقاليم النازلين فيها هذا ما يدفعهم إلى النقلة والترحال انتجاعا للكلئ وطلبا للعيش الميسور الذي يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراءا.[1]
- فكان إذا أقبل الصيف واشتد الجفاف في الجهات الهضبية أو شبه الصحراوية جف العشب وقلّ الماء فلا يجد السكّان مفرا من شد الرحال صوب الشمال حيث يتوفر المطر ويطيب المرعى وتتيسر ظروف الحياة.[2] وكان إذا أقبل الخريف وأوشكت الأمطار أن تندى بطاح الهضاب بالمطر المنبت بالكلأ عادت جموع المهاجرين مرة أخرى إلى ديارها لقضاء فصل الشتاء ويقضي السكان هكذا حياتهم بين رحلتي الشتاء والصيف، تحدث هذه الظاهرة في كل بيئة وفي كل عصر، ولكنها كانت أكثر انتشارا في بيئة المغرب الأقصى في العصور الوسطى.[3]

كما امتازت هذه القبائل بالشجاعة الفائقة والقدرة على تحمل الصعاب والمشاق والتحرك السريع، فنجد فيهم البسالة والجرأة والمهارة في ركوب الخيل.[4]

- وهم طوال القامة وفيهم الرشاقة، ذوو وجوه سمراء طويلة، ولأولادهم في العادة شعور مموجة فاتحة اللون سرعان ما تصبح سوداء وبعضهم يهتم بشعره وذلك أنهم يصبغونها في كل أسبوع بالحناء ويغسلونها في الجمعة مرتين بدقيق البيض والطين الأندلسي.[5]

---

[1] –حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص24.

[2] –نفسه، ص42.

[3] – نفسه، ص44.

[4] –ابن حوقل، المصدر السابق، ص99.

[5] –الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 62- 63.

ولباس الرجال منهم والنساء أكسية الصوف ويحزمون في أوساطهم بمآزر الصوف وكانوا يسمونها أسفاقس[1] ويرتدون فوقها الأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ويتخذ السادة لثاما مغايرا للثام العبيد واللثام لا يتخذه إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي أي يستعمله فقط سكان القبائل البربرية لأن ما عداهم من الحشم والعبيد حين يتخذونه يأتون بالكثير من الفواحش بسبب تخفيهم وراءه[2] ولا يمشي الرجل منهم أبدا إلا وفي يده رمحان قصارى العصي، طوال الأسنان رقاقها وينتجونها من أطيب الحديد.[3]

وسكن سكان هذه القبائل في بيوت من الحجارة والخوص والشجر، وأكثر أثيابهم من الصوف[4]، وطعامهم يعتمد على اللحم والعسل، الزبيب وبعض الحبوب، ويأكلون الجراد وشرابهم اللبن بدلا من الماء.[5]

عرفت هذه القبائل بالفقر وهم المستوطنون وراء الرمال الصحراوية في الجنوب، وأبدعوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح، لا يعرف أولها فأسحروا عن الرياف ووجدوا بها المراد وهاجروا التلول واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر.[6]

- امتاز سكان هذه القبائل بقوة التحمل وهو ما جعلهم يعشقون الترحال والتنقل بحثا عن لقمة العيش، وامتازوا أيضا بعدم الاستقرار واعتمدوا على نمط الرعي والانتجاع فهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا، وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن "وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب".[7]

---

[1] –مدينة نواحي إفريقيا جل غلاتها الزيتون وهي على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام بين السوس يومان وبين فاس ثلاثة أيام. ينظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد تريجي، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، (د.س)، (د.ط)، ج24، ص121.

[2] ابن عبدون محمد بن أحمد التيجي، رسالة في الحسبة والمحتسب، تح: لفي بروفنسال مطبوعات المعهدالعلمي الفرنسي الآثار الشرقية،القاهرة، 1955، (د.ط)، ص28.

[3] –ابن خلدون، المصدر السابق، ص273.

[4] –عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص36.

[5] –حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص52.

[6] –محمود، المصدر السابق، ص ص 6-8.

[7] –القادري بوتشيش، المرجع السباق، ص16.

2. الأوضاع السياسية والاقتصادية:

- مما لا شك فيه أن النشاط الاقتصادي لأية منطقة يرتبط بالوضع السياسي لها كان المغرب قبل ظهور المرابطين عبارة عن مجموعة من القبائل الصنهاجية التي قيل أنها كانت تنقسم إلى سبعين قبيلة، وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاد، وقبائل لا تحصى ولا تعد، وكان موطن هذه القبائل أرض الصحراء فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان حيث يقول السلاوي: "أن مساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولا في أربعة عرضا"[1]

ومنهم قوم أطلق عليهم الملثمين وفيهم يقول البكري: "كانوا لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خيرا حيث كانت أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن، كانوا لا يأكلون الخبز إلى عند مرور القوافل التجارية عليهم من بلاد الإسلام أو بلاد السودان".[2]

من قول البكري وابن أبي زرع نعلم أن هذه القبائل كانت تسيطر على الطرق التجارية التي تمر عبر أراضيها، فكانت تفرض المكوس والضرائب على القوافل التجارية التي كانت تستخدم الطرق التي تتحكم فيها وكانوا حريصين على أن ما يفرضونه من المكوس، لا يكون أكثر مما تحتمله التجارة.[3]

- عاشت هذه القبائل في صراع داخلي تمثل في التنافس على السلطة وذلك لانعدام الأمن والسلطة المركزية التي تتحكم في الوضع، مما أدى ذلك لانتشار اللصوصية وقطع الطرق.[4]
- وقد أدى هذا التفكك السياسي إلى تدهور الوضع الاقتصادي، فارتفعت الأسعار، وتفشت الربا وظاهرة الغش، فكثرت الضرائب وهذا بدوره ما أدى إلى سوء المعيشة، ومعاناة السكان[5]، وقد كان زعماء القبائل متمسكين بسلطاتهم الهامشية، فكان كل واحد منهم يعمل على ضمان استمرارها وتوسيعها على حساب جيرانه بأي طريقة كانت، فأصبح المغرب في ذلك الوقت يعاني الانقسام

---

[1] -السلاوي، الاستقصا لدول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار اللبيضاء، 1954، (د.ط)، ج2، ص10.

[2] -البكري، المصدر السابق، ص164.

[3] -عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430- 515هـ/ 1038- 1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ 1988، ط1، ص51.

[4] -عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص342.

[5] -محمد حامد الخليفة، يوسف بن تاشفين بطل معركة الزلاقة، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2004، ط1، ص58.

الحاد سياسيا واقتصاديا ودينيا، وأصبح أهله شيعا وأحزاب يعيشون حالة انقسام مستمر وصراع متجدد، يؤججه أمراء السوء الذين يديرون الفتن بدون وازع من الضمير أو الدين.[1]

- وقد ولد هذا الاحتكار التجاري صراع بين صنهاجة وزناتة[2] التي سيطرت على القرى والمدن التي كانت تصل إليها القوافل التجارية من إفريقيا الغربية والتي كانت تعده تجارة صنهاجية. حكمت هذه المنطقة قبائل مختلفة، فكانت كل قبيلة تسيطر على مدينة أو أكثر وتفرض عليها سلطتها ومشتبكة مع غيرها في صراع حول السلطة، فضلا على أن بعض رؤساء هذه القبائل كانوا يجتمعون بالتبعية للدولة الأموية ويقدمون لها قروض الطاعة والولاء.[3]

وقد كانت من أبرز الكيانات القائمة آنذاك منطقة فاس وما حولها خاضعة لأمراء مغراوة وبني يفرن وفيها قال ابن أبي زرع: "وقد ضعفت أحوال بنو مغراوة[4] ونقص ملكهم وجاروا على رعيتهم فأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم وتعرضوا لحرمهم، فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف في البلاد، وغلت الأسعار، وتبدل الرخاء بالشدة والأمن بالخوف والعدل بالجور ... وتوالى منهم ظلم وعدوان على رعيتهم ... فاتصل الجور والغلاء وعدمت الأقوات في مدينة فاس".[5]

فقد كان رؤساء مدينة مغراوة وبني يقرن يدخلون على الناس في ديارهم ويأخذون كل ما يجدونه من طعام وشراب بالإضافة إلّا أن هذه القبيلة المغراوية كما وصفها السلاوي، لم يكن لها استقلال بالمغرب أو فاس وإنما كانت تابعة للدولة الأموية بالأندلس، أما المنطقة الثانية فكانت منطقة سلة وتادلة[6]، التي

---

[1] –محمد حامد خليفة، المرجع السابق، ص58.

[2] –قبيلة من قبائل البربر اختلف في نسبها وموطنها، تمتد مابين سوس الأقصى وغدامس، والأكثر منها بالمغرب الأوسط وكذا بالمغرب الأقصى. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص ص 2- 6.

[3] –حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص76.

[4] –هي إدى بطون قبيلة زناتة الأمازيغية من ولد مغراوة بن بصلتين بن مصرابن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن زناتة. ينظر:ابن خلدون، العبر، ص24.

[5] –هي مدينة مشهورة في بلاد المغرب، وقد تفجرت كلها بعيون تسير إلى نهر منبسط إلى الأرض وفاس هي دار مملكة بني إدريس بن عبد الله بن الحسن بن أبي طالب – رضي الله عنه– وهي مدينتان فإحداهما بناها إدريس أحد خلفاء الأدارسة وتعرف بعدوة الأندلس والأخرى بنية بعدها وتعرف بعدوة القرويين. ينظر: إسماعيل العربي، مدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، (د.ط)، ص10.

[6] – هي من بلاد المغرب، مدينة قديمة أزلية بنى فيها المرابطون حصنا منيعا كان معمورا وبه الأسواق والجامع. ينظر: جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص326.

كانت تخضع لبني يفرن[1] الذين كانوا في صراع مستمر مع أبناء عمومتهم من أمراء مغراوة، فتارة يستولون على فاس وتارة أخرة يطردون منها ويعودون إلى مواطنهم الأصلية، وكان آخر أمرائهم محمد بن تميم بن زيري الذي تولى سنة 448هـ/ 1056م إمارة بني يقرن حتى مقتله على أيدي المرابطين سنة 462هـ/ 1069م.[2]

أما المنطقة الثانية فكانت سجلماسة ودرعة[3] التي خصصت لبني خرزون[4] منذ سنة 366هـ/ 986م واستمر لها حتى مجيء المرابطين، وذلك حين استدعى فقهاء سجلماسة ودرعة ابن ياسين ومن معه من المرابطين لتخليصهما من حكم وجور الأمير مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي.[5]

وفيه يقول ابن أبي زرع: "فكما كانت في سنة سبع وأربعين وأربعمائة اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم إلى الفقيه عبد الله بن ياسين وإلى الأمير يحيى ابن عمر وأشياخ المرابطين، *** يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من منكرات وشدة التعسف والجور، مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي"[6] وكانت استجابة المرابطين، واستطاعوا القضاء على إمارة بني خزرون سجلماسة ودرعة، أما آخر إمارة فهي في منطقة تامسنا، التي كانت تسيطر عليها قبائل برغوافة بمذاهبها الفاسدة، فالحياة السياسية كان لها تأثير على الحياة الاقتصادية وذلك سبب الثورات والفتن المستمرة على المنطقة، حيث كانت منطقة المغرب الأقصى تتمتع بزراعة مزدهرة وصناعة رائجة إلا أن الضعف السياسي قد انعكس على الاقتصاد بشكل واضح وذلك بسبب قلة الأموال والحالات المزرية للناس[7]، وبما أن بعض القبائل وأمراء المغرب الأقصى كانوا يخضعون بالتبعية للدولة الأموية بالأندلس، فكانوا يقومون بدفع جزية سنوية من المال والخيل والمعدات لخزانة الأندلس، فقد أدت هذه الجزية إلى زيادة الأعباء الاقتصادية للدولة

---

[1] – أو آية يفرن أو الإفرينيوتين هم بنوا يفرن بن بصلتين بن مصرابن زكيايم ورسيك بن أديرت بن زناتة وقيل بنوا يفرن بن مرة بن ورسيك بن زناتة. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص11.

[2] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص 8- 9.

[3] – أهلها عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرق من الأرض. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص155.

[4] –حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص76.

[5] –حسن علي حسن المرجع السابق، ص9.

[6] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ج2، ص ص 17- 18.

[7] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص12.

وبالمقابل كانوا يفرضون ضرائب على السكان ويتبعون أعنف الوسائل في جمعها وفرض ما يشاءون منها فقد أثرت هذه الضرائب على الحياة الاقتصادية بشكل ملحوظ[1]

وبسبب هذه الضرائب نقصت موارد بيت المال، وهذا ما أدى إلى قيام ثورات وحروب وفتن مستمرة فانعدم الأمن والاستقرار ولانعدامهم قل الإنتاج واضطربت الأوضاع الاقتصادية للبلاد، لأن محور الحياة الاقتصادية في هذه البيئة هو حسن التعامل بين المناطق البدوية والمستقرة.[2]

فقد روى المؤرخون صورا غريبة لتلك الأوضاع الاقتصادية التي مرت بها البلاد في تلك الفترة[3] كما أن الحروب أشاعت الفوضى والاضطراب فضلا عن الموت والهلاك الذي أصاب الأيدي العاملة في البلاد وقد لمسنا ذلك من خلال الصراع الذي دار بين دوناس بن حمامة وابن عمه حماد ابن معنصر حيث استولى حماد على بعض أجزاء فاس، ومن ثم قطع مياه نهر فاس على عدوة القرويين، ولا شك أن هذا قد أثر بالدرجة الأولى على السكان وزراعتهم وأعمالهم، وأصاب النايس القحط[4] والغلاء نتيجة المعارك المستمرة فعاشت البلاد في محنة اقتصادية طول هذه الفترة.[5]

- وضحت هذه الأحداث الاضطراب الاقتصادي الذي حل بالبلاد، وحلّ بالناس الضائقة من مجاعة انتابتهم وبهذه الظروف أصبح الناس يتطلعون إلى النجاة مما هم فيه من ظلم وجور وبؤس وشقاء، بتأييد أي قوة جديدة تساعدهم في ذلك وقد جاء الخلاص من ديار الملثمين.[6]

---

[1] -عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص443.

[2] -حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص87.

[3] -حسن علي حسن، المرجع السابق، ص12.

[4] -جاء في الصحاح: القحط هو الجدب وقحط وأقحط القوم أصابهم القحط وقحطوا على ما لم يسمى فاعله قحطا ويقال جفت الأرض، لأن المختصين يستعملون مصطلح الجفاف وهو معانات منطقة من نقص في الموارد المائية. ينظر: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط01، ص105.

[5] -حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص90.

[6] -نفسه، ص90.

المبحث الثاني: أوضاع المغرب بعد دخول المرابطين:

1. الأوضاع الاقتصادية نموذجا:

- إهتم المرابطون بجميع نواحي الاقتصاد، وحاولوا قدر استطاعتهم اكتشاف وتطوير أساليب اقتصادية جديدة وهذا رغبة في ازدهار البلاد وأملا في تطورها.[1]

فبعد أن استقرت الأوضاع لعبد الله بن ياسين بالمغرب وقام بغزوها قبيلة بعد قبيلة إلى أن هداهم الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وذلك أن المرابطين قد التزموا بالكتاب والسنة وطبقوا أحكامها في الشؤون المالية بدقة، فكان معنى ذلك إلقاء ما لم يرد في الكتاب والسنة.[2]

- فقد كان المجتمع المغربي تطغى عليه ألوان متعددة من الضرائب الجائرة، التي يقرها الشرع ولا يرضى عنها الدين فقد كان ملوك زناتة في المغرب يفرضون على الناس المعونة، بينما فرضت على التجار المكوس، وبدخول المرابطين لبلاد المغرب نادوا ببطلان هذه الجبايات الجائرة، فكان لعملهم ذلك وقع عظيم وصدى بعيد الأثر في الحياة.[3]

ألقى المرابطون الأعباء المالية لجلّ تلك الضرائب والجبايات غير المشروعة وبهذا تضاعفت الأموال وتدفقت على بيت المال وانتشر الرخاء وعم اليسر، وأصبحت الحياة حياة ميسورة خاصة في عهد يوسف بن تاشفين.[4]

- وعلى حد قول ابن أبي زرع: "أن في عهده عمّ الرخاء كامل أرجاء البلاد، حيث وجد في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعا من الدنانير الذهبية المطبوعة".[5]
- شهد المغرب في عهد الدولة المرابطية ازدهارا وانتعاشا اقتصاديا في جميع المجالات، ومن بين النماذج الاقتصادية التي أولوها وهي عنايتهم بالفلاحة والصناعة فقد اعتنى المرابطون بالفلاحة والزراعة في دولتهم وسعوا لتطويرها وتنميتها وهذا لكي تستطيع أن تلبي وتفي بحاجيات ومتطلبات البلاد، حيث

---

[1] -ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص219.

[2] -ابن أبي دينار، المؤنس، في ذكر أخبار إفريقية وتونس، تح وتع: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ، 1967م، ط3، ص101.

[3] -حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص408.

[4] -نفسه، ص410.

[5] -ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 88.

سعوا لتوفير الأمن والاستقرار، وذلك بالقضاء على الحروب والفتن التي كانت قائمة آنذاك، وبهذا استطاعوا استثمار الأرض[1]، وعلى سبيل اهتمام المرابطين وتركيزهم على الزراعة نجد أن يوسف بن تاشفين قام بتشييد قنطرة على نهر تاشفين لتوزيع المياه اللاومة على المساحات الزراعية، وبهذا شهدت البلاد لخصوبة أرضها وفرة في بعض المزروعات وبعد أن ثبت الأمير يوسف بن تاشفين أقدامه وعظم صيته وأطاعته جلّ القبائل قرر وهب مملكته عاصمة جديدة فاضطر إلى شراء أرض مراكش ممن كان يملكها وقيل أنها كانت قليلة المياه لذلك جلب يوسف بن تاشفين المياه من أغمات[2] إليها.

- أقبل الفلاحون بعد هذا إلى إصلاح الأرض البور والعودة إلى الأراضي التي هجروها، وشرعوا في العمل بعد أن شاع الأمن والاستقرار وخف عبء الضرائب فبهذا تضاعف الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب، فكانت الأراضي الزراعية بمنطقة المغرب الأقصى[3] مصدرا خصبا لكثير من المحاصيل الزراعية، فشهدت البلاد وفرة في المزروعات.[4]

[1] – ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 218- 219.

[2] –بأرض المغرب بقرب وادي درعة وأغمات مدينتان إحداهما دريكة والأخرى هيلانة وبينهما نحو ثمانية أميال. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص46.

[3] –تقع في الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية يحده شرقا وادي ملوية وجبال تازا وغربا المحيط الأطلسي وشمالا بحر الروم وجنوبا جبال درن وهذا الموقع جعله صلة بثلاث مناطق: أولا هو امتداد إقليمي من المغرب الأدنى والأوسط. ثانيا اتصاله بمنطقة الأندلس، ثالثا لاتصاله بمنطقة الصحراء في جنوبه. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص100، وحسن علي حسن، المرجع السابق، ص3.

[4] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص269.

حيث قامت الكثير من المدن المغربية بزراعة بعض النباتات المختلفة وهذا ما نجده في مكناسة وما تميزت به من العديد من المزروعات والحدائق.[1] ونجد أيضا أن قبائل تامسنة شتى متفرقة فمنهم برغوافة ومطماطة وبنو تسيلت وبنو يغمران رقارة وبعض من زناتة ... وكل هذه القبائل كانوا أصحاب حرث".[2]

ونجد أيضا مدينة مراكش التي كانت كثيرة الزرع والضرع وبحائرها لا تحصى من كثرتها زهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه وأكثر أشجارها "الزيتون، وأنواع الكروم حيث كانت أرضها صالحة للزراعات وطيبة لها.[3]

ومن بين المنتوجات التي كانت ذات أولوية لدى ولاة الأمر وأعطوها اهتمام كبيرا نجد القمح والشعير والذرة وأنواع أخرى من الحبوب والقطن وقصب السكر والكتان[4]. ومن أشهر مناطق المغرب لإنتاج القصب السكري هي منطقة السوس حيث وصفه الحميري في قوله: "وقصب السكر الذي ليس في الأرض مثله طولا وعرضا وحلاوة وكثرة ماءه".[5]

أما بالنسبة للصناعة فلم تكن أقل من الزراعة فقد اهتم بها المرابطون وولاة الأمر وازدهرت ازدهارا كبيرا وقد توفرت أيضا في أسواق السودان المواد الخام التي تستعمل للصناعة وهذا زيادة إلى استقرار الوضع السياسي والأمني الذي أدى تطوير الصناعات، وهذا خاصة بعد توحيد العدوتين[6].

[1] -حسن علي حسن، المرجع السابق، ص269.
[2] -الإدريسي، المصدر السابق، ص71.
[3] -الحميري، المصدر السابق، ص ص241- 244.
[4] -ابن حوقل، المصدر السابق، ص209.
[5] -الحميري، نفسه، ص330.
[6] -عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص338.

قامت الدولة المرابطية بافتتاح أبواب المغرب للأندلسيين الذين توافدوا للمغرب ومن ثم شكل الصناع جانب كبير في المجتمع المغربي، وكانت لهم يد في تطوير الحياة الاقتصاددية في المغرب على عهد الدولة المرابطية[1]، من بين الصناعات نذكر: صناعة النسيج، وصناعة الملابس من الصوف والقطن، وصناعة دبغ الجلود، وكان لهذه الأخيرة من الصناعة مراكز في بلاد المغرب حيث كانت هناك مدينة مراكش وأغمات وفاس بالإضافة لوجود أسواق مختلفة، وقد ظهرت هناك صناعات حربية منذ عهد عبد الله بن ياسين الذي قام بالاستعلاء على كل المناطق المنتجة للمستلزمات الحربية من مدينة لول لمطة.[2]

[1] -العباس بن ابراهيم التعارجي، الإعلام لمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ب د، فاس، 1936، ط1، ص63

[2] -نفسه، ص64.

2. آثار المرابطين بالمغرب:

شهد المغرب الأقصى نشأة عدة مدن خلال الحكم المرابطي وقامت هذه المدن بدورها الحضاري في تقديم المنطقة وفي مقدمة هذه المدن نجد:

- مراكش: اتخذها المرابطين عاصمة لهم وحرصوا على اختيار موقعها بعناية بحيث يتحقق أهدافهم، وقد جاء اختيار موقع المدينة في مفترق الطرق بين الأطلس والصحراء بحيث تكون المدينة قريبة من مواطن المصامدة الذين يشكلون غالبية السكان[1] لمراقبة تحركاتهم وفي نفس الوقت تكون المدينة قريبة من صحراء المرابطين ومواطن لمتونة حيث الإمدادات العسكرية تصلها في سهولة ويسر، ويؤكد المراكشي هذه الحقيقة بقوله: "ولم تتخذ لمتونة مدينة مراكش موطنا لها ولا جعلوها دار مملكة لأنها خير من مدينة فاس في شيء من الأشياء، ولكن لقرب مراكش من جبال المصامدة[2] وصحراء لمتونة فلهذا السبب كانت مراكش المملكة".
- وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي بدأ المرابطون فيها تأسيس مدينتهم كما اختلفوا في سبب تسميتها بمراكش والأرجح أن يوسف بن تاشفين هو الذي بدأ البناء سنة 404هـ/ 1062م، بعد أن اتجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء، وبذلك تأسست المدينة في وقت قصير وظلت على هذه الحال حتى ولى أمر المرابطين علي بن يوسف[3] فبنى قصره المعروف بدار الحجر، وأدار عليه الأسوار وذلك سنة 536هـ/ 1131م.

ذكر ابن خلدون أن يوسف بناها لنزول عسكره بها والاجتماع بقبائل المصامدة فلم يكن في قبائل المغرب أشد منهم ولا أكثر جمعا.[4]

---

[1] –مالكي سليمان عبد الغني،بعض ملامح الحياة الإجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين والموحدين ، الدارة السعودية ،مج 12 ، ع 3، ديسمبر1986،ص ص 190 -169.

[2] –حسب ابن خلدون ينتسب المصامدة إلى مصمود بن يونس بن بربر ويعدون من أبرز العناصر البرنسية يتميزون بكثرة عددهم بالنسبة لمجموع سكان المغرب الأقصى حسب تعبير ابن خلدون إذ يقول عنهم:" فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم وقد صنفهم إلى ثلاث مجموعات أساسية وهم "جبل درن " و" غمارة الريف" و " برغواطة تامسنا "، وما يميزهم عن صنهاجة الذين يعتمدون في حياتهم على الرعي والانتجاع أما المصامدة فاعتمدوا حياة الاستقرار وشيدوا المباني والقصور واتخذوا المعاقل والحصون. ينظر: ابن خلدون، العبر، ص ص 245- 264.

[3] –مالكي سليمان عبد الغني، المرجع السابق، ص 180.

[4] –ابن خلدون، المصدر السابق، ص 184.

- كانت مراكش من أكبر مدن المغرب لأنها كانت دار إمارة لمتونة، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة وشوارعها واسعة وأسواقها كثيرة ومختلفة.[1]
- أهم أسباب بناء مدينة مراكش:
- ضيق المكان على المرابطين في مدينة أغمات وشكوى أهلها من الوضع المزدحم، كون المرابطين صحراويين لم يعتادوا حياة المدن والاستقرار، إضافة إلى حاجة مواشيهم التي بصحبتهم إلى المراعي الخصبة والساحات الواسعة.
- رغبة المرابطين في أن يكون لهم حصن يأوون إليه مع جندهم ويكون مرتكزا لمخططاتهم العسكرية، ويلبي رغباته وطموحاتهم المستقبلية.[2]

وبإشارة من القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور قام يوسف بن تاشفين بإدارة السور عليها عام 526هـ وقد أصبحت مراكش قاعدة صلبة لدولة من أعظم الدول التي أسست بنيانها على التقوى ورسخت فيها تعاليم الإسلام، فحمت الغرب الإسلامي من الضياع، ووحدته بعد الشتات، فأصبحت مراكش معقلا للحضارة والتقدم وقد أرسى فيها المجاهدون الأمن والاستقرار.[3]

شهدت عاصمة مراكش والتي بناها يوسف بن تاشفين تطورا كبيرا منذ إنشائها حتى عهد الناصر الموحدي، إذ صارت كعبة للناس من مختلف المناطق والأماكن، وقد زخرت بالمنشآت والمباني كما كانت حافلة بمختلف أنواع النشاطات وهذا ما دفع بصاحب كتاب الاستبصار إلى وصفها في قوله: "ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا مما زاد فيها الخليفة الإمام وخليفته أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضي الله عنهم".[4]

[1] -الإدريسي، المصدر السابق، ص 233.
[2] -حامد محمد خليفة، المرجع السابق، ص 232.
[3] -نفسه، ص 134.
[4] -حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 383.

كما أنشأ المرابطون مجموعة من المدن الأخرى كمدينة تاودا التي أنشئت لتكون قاعدة يراقبون منها القبائل وقد حفلت بالمباني والقصور.[1]

- أولى ولاة الأمر من المرابطين عناية واهتمام كبير تجاه المدن المغربية وهذا لتسيير سبل الحياة وتوفير متطلبات السكان، وكان اهتمامهم يركز على توفير المياه ليشرب منها الناس والدواب واستخدامها في بعض النشاطات الأخرى، وكان في مقدمة هذه المدن التي اهتم بها ولاة الأمر العاصمة مراكش حيث فيها العديد من الآبار.[2]

[1] -حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 382.

[2] -نفسه، ص 185.

- **فتح فاس:**

على الرغم من عدم اختلاف المؤرخين على دخول مدينة فاس عام 455هـ إلا أنهم لا يتفقون لعى إخضاعها ثانية لسلطان المرابطين إخضاعا نهائيا.[1]

نجد ابن أبي زرع يرى أن المرابطين دخلوا فاس عام 462هـ، بعد حصار شديد وأنها كانت تنقسم لقسمين: عدوة القرويين، وعدوة الأندلس، فأمر يوسف بن تاشفين بهدم الأسوار الفاصلة بين هاتين العدوتين وجمعهما مدينة واحدة، فقام بتحصينها وأمر ببنيان المساجد في أرجائها وشوارعها، وكان أي زقاق لا يوجد فيه مسجد يعاقب أهله.[2]

[1] -حامد محمد خليفة، المرجع السابق، ص 115.

[2] -نفسه، ص 115.

بحكم الدولة المرابطية قامت على أساس ديني كمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أعطت أولوية كبيرة للعمارة وخاصة المساجد الذي يعتبر من بين الآثار الدينية.

- جامع القرويين بفاس:

ساد الطابع الديني الحياة العامة ولهذا اهتم ولاة أمر المرابطين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز للإشعاع الفكري للدعوة المرابطية، وقد دخل يوسف بن تاشفين فاس وأمر ببناء المساجد فيها.[1]

يعتبر جامع القرويين بفاس من أعظم آثار المرابطين، كما يعتبر من أهم المساجد الجامعة في بلاد المغرب وأكثرها شهرة ولقد مر بناؤه بثلاث أدوار: الأول عند تأسيسه سنة 245هـ/ 859م، والثاني عند الزيادة فيه عام 340هـ/ 959م، والثالث عندما زيدت مساحته في صر علي بن يوسف سنة 530هـ/ 1135م.[2]

قام المرابطون بتوسعة المسجد وهذا ليستوعب أكبر عدد من المصلين، لأنه ضيق بسبب ازدهار فاس وازدياد عدد سكانها وهو ما أدى للمطالبة بتوسعته من قبل اجتماع الفقهاء والأشياخ، [3]قام القاضي بشراء كل مستلزمات الإجراء لزيادة توسيع المسجد وشرع في البناء فبنى أولا:

الباب الغربي الكبير وهو باب التجاريين أو الفخاريين يعرف الآن بباب الشماعين، كما أشرف القاضي على بناء هذا الباب بنفسه وعمل على تحسينه وتجميله، وضع على ظهر الباب من داخل المسجد قبة كتب عليها أن هذا الباب والقبة قد اكتملا بنائهما وترتيبهما.[4]

وبعدما شرع في عمل القبة بأعلى المحراب، وأيضا وضع المنبر وأقيم على يد القاضي أبي محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الغرناطي ولكنه لم يكمله فأكمله القاضي أبو مروان عبد الملك بن بيضاء، وقد صنع من عود الصدى والأبنوس والنارنج والعناب وعظم الحاج وقد تولى صناعته والإشراف على أعمال النجارة فيه الأديب أبو يحي العقاد، وكان له غطاءان أحدهما من جلد الماعز والثاني من الكتان.[5]

[1] –حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 369.

[2] –ابن أبي زرع، روض القرطاسسن المصدر السابق، ص ص 22–24.

[3] –أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 366.

[4] –ابن أبي زرع، نفسه، ص ص، 36–39.

[5] –ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص، 38–39.

أما بالنسبة لصحن الجامع فقد قام بفرشه عبد الله محمد بن أحمد بن صخر الخولاني، فقد كان له أربع من الدور مورثة عند أبيه فباعها وأنفقها فيما يحتاج إليه وتولى فرشه بيده وعندما تولى القاضي أبو عبد الله محمد بن داود قضاء فاس أدخل بعض الزيادة عليه فعمل له مظلا من شقق الكتان تنشر عليه كل يوم جمعة لحجب الشمس عن المصلين.[1]

وكذلك أنشأ ما يعرف بقبة البروديين بمراكش وهي تعتبر من أروع ما أنشأه الفن المرابطي، تحولت هذه القبة إلى ميضأة، وهذه القبة هي عبارة عن مبنى مستطيل الشكل مبني بالحجر الآبد تتوج جدرانه من الخارج شرفات مدرجة ويغطي جزءه الأوسط قبة صغيرة مبنية بالآجر.[2]

[1] –عبد العزيز سالم، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 78.

[2] –نفسه، ص 752.

الفصل الثالث: التقشف عند المرابطين بعد قيام الدولة.

المبحث الأول: قبل دخولهم إلى الأندلس

المبحث الثاني: بعد دخولهم للأندلس

المبحث الثالث: آثار التقشف في الأندلس

الفصل الثالث: التقشف عند المرابطين بعد قيام الدولة

المبحث الأول: قبل دخولهم إلى الأندلس.

تمهيد:

كانت الأندلس في القرن الخامس هجري تعيش عصر ملوك الطوائف أو كما يسميها ملوك الفتنة. كانت دويلات متفرقة ومتناحرة فيما بينها كل واحدة منا تسعى لتحقيق مصالحها الشخصية وكلفها ذلك الاستعانة بالنصارى وهذا الأمر انعكس سلبا على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد ومما زاد الوضع أكثر سوءا تلك الاعتداءات المتوالية على الأراضي الأندلسية التي وجدت فرصة سانحة في تفرق كلمة المسلمين وانقساهم ثغرة في استرجاع مدنها وبمصطلح أدق "حروب الاسترداد" وفي ظل هذه الأوضاع التي مست الأندلس من تدهور الاقتصاد وتفريق كلمة المسلمين انتشرت آفات اجتماعية مثل الأوبئة والفقر والأمراض والمجاعات والتقشف، وهذا الأخير يعتبر موضوع دراستنا، ولفهم وضعية التقشف في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، لابد من طرح تساؤلات منها: ما هي أسباب التقشف وما هي مظاهره؟

– أسباب التقشف:

إن كلمة تقشف تشمل عدة جوانب سواء الجانب الاقتصادي أو الديني، فالجانب الاقتصادي يهدف إلى خفض الانفاق وغالبا ما يكون ذلك من خلال تقليص الخدمات العامة[1]. وتلجأ الدولة إلى إجراءات تقشفية بهدف خفض العجز في الموازنة ما يؤدي إلى زيادة الضرائب.[2]

أما على الصعيد الديني فهو ما يعرف بالزهد وبمعنى آخر هو العكوف على العبادة والإعراض عن زخارف الدنيا وزينته.[3]

وإذا ما حصرنا هذا التعريف التقشف بكل جوانبه واسقطناها على بلاد الأندلس من عصر ملوك الطوائف نجده بكل حذافيره والسبب يعود إلى ما يلي :

[1] –زهرة خضرة، عباس عبيدي، التقشف مجلة سياسية ودولية، ص780.

[2] –وهي جمع ضريبة واحدة من الضرائب التي تؤخذ من الأرصاد. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص2570.

[3] –زهرة خضرة، المرجع السابق، ص781.

-الجانب الاقتصادي:

لا يمكن الكلام على الجانب الاقتصادي إلا بالانحطاط الذي وقع في أيام ملوك الطوائف في الأندلس وفي الحقيقة هو حديث طويل ولن تكفيه هذه الصفحات غير أننا سنحاول الإلمام بأهم أسبابه وتأتي على رأس هذه الانحطاط:

النزاع الداخلي ببين الأسرة الحاكمة الذي كان من أقوى المؤثرات على واقع المسلمين هناك الأمر الذي أدى إلى شتات الأمة وانقسامها ولا يخلوا تاريخ أي دولة من دول الطوائف من وجود أحداث في هذه الفترة وأصبح الاستقرار السياسي شبه منعدم لديهم.[1]

ومن الأمثلة على ذلك: الصراع الداخلي بين أبناء بني حمود حيث تنازع يحي وإدريس مع عمهما القاسم بن حمود[2] على السلطة وقد نتج عن هذا الصراع استيلاء بني عياد[3] على إشبيلية[4] سنة 414- 1083م.[5]

فتلك الظروف السلبية والحربية تأثرت الحالة الاقتصادية تأثرا كبيرا حيث أصبح الناس لا يستطيعون مزاولة تجارتهم والعمل في مصانعهم ومزارعهم[6] فقد أدى ذلك الوضع إلى عدم الاستقرار الاقتصادي وإلى غلق الأسواق وركود في الحياة التجارية والصاعة لذلك كانت الأسواق والدكاكين تبقى مدة خالية من الناس بعد المعارك العربية التي تقع بين ملوك الطوائف، ولعل من الأدلة القوية على انتكاس الاقتصاد من هذا العصر لم يوجد عملة خصبة تسمى الدراهم والعملة التي كانت متداولة إما النحاس أو الفضة الدنية.[7]

---

[1] -ابن خلدون، المقدمة، ص155.

[2] -كنيته أبو محمد ولى الخلافة وعمره سبعين سنة، تولى الخلافة بقرطبة مرتين الأولى في 04 ذي الحجة 1412هـ، استمرت 03 سنوات وخمسة أشهر. ابن الأثير، المصدر السابق، ص94.

[3] - بنتسيون إلى النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة، وأول من هاجر إلى الأندلس نعيم وابنه عطاف وقد استقروا في إشبيلية. انظر: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1398هـ/ 1978م، مج4، ص112.

[4] -مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها تسمى حمصا أيضا بها قاعدة ملك الأندلس وسريره وبها كان بنو عباد ولمقامهم بها خربت قرطبة وعملها متصل بعمل لبلة وهي غربي قرطبة ثلاثون فرسخا. انظر: ياقوت الحموي المصدر السابق، مج1، ص195.

[5] -المقري، المصدر السابق، ص18.

[6] -عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، (د.ت)، ط2، 1409- 1988، ص38.

[7] -نفسه، ص40.

ومن الأمثلة على فرض الضرائب والاتاوات الكبيرة على رعاياها ما فعله مبارك والمظفر العامريان[1] في مدينة بلنسية[2] حيث كانا يستخرجانها بكل العنف السبب الذي أدى بالرغبة إلى الهجرة خارج الأندلس أو إلى مدن أخرى.

وكانت هناك عوامل أيضا أضرت بالحياة الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف، وما خلفته الحروب التي وقعت بينهم من آثار سلبية، وحينما انتهت الحرب التي وقعت بين المعتضد ابن عباد[3] والمظفر ابن الافطس سنة 442هـ، واستمرت عدة شهور كانت تلك الحرب قد دمرت عمارات واسعة أفسدت غلاتها وأوقعت رعيتها في المجاعة الطويلة بين الزعيمين حتى أفنيا العالمين.[4]

كما نجد هذا المرض (النزاع الداخلي) في دولة بني زيري في غرناطة[5] عقب رحيل زاوي بن زيري في سنة 410- 1019م، وتولى حبوس بن ماكسن [6]إمارة غرناطة فقام بتقسيم أعمال حكمه بين عمومته كما صرف باديس بن حبوس جل وقته وماله لتحصين دولته ضد أخطار بني عمومته وقرب اليهود وجعلهم وزراء له.[7]

كما كانت هناك حروب بين هذه الدول خاصة بين بني عباد في إشبيلية وبين بني باديس في غرناطة وبين بني هود وبني ذي النون [8]وغيرها من الصراعات التي أسفرت على تدهور الأوضاع الاقتصادية بالأندلس وسخط من ملوك الطوائف، وكنتيجة حتمية في ظل هذه الصراعات أدى إلى ما يعرف بالتقشف الاقتصادي.[9]

---

[1] -حاكما مدينتي شاطبة وبلنسية كلاهما من موالي المنصور ابن عامر، امتهنا الظلم والاستبداد وقد عفى عنهما بن حيان ورأى حكمها الزمان، ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص158- 159.

[2] -تقع بين مملكة مرسية ومملكة طرطوش وقد حصلت للنصارى ثم أعادها الله للإسلام. انظر: ابن سعيد المغربي، المغرب في حلة المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط01، ج2، ص295.

[3] هو أبو عمرو بن عمر بن إسماعيل بن عباد، ولى اشبيليا واعمالها. انظر: عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (د.ط)، ص135.

[4] -ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص299.

[5] معنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك، قال الأنصاري وهي اقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص195.

[6] -هو ابن ماكسن بن زيري بن مناد، يكنى بالحاجب المظفر بالله الناصر لدين الله، تولى حكم غرناطة بعد وفاة والده حبوس سنة 429هـ/ 1037م، غلب على دولته وزيره اليهودي اسماعيل بن فغربلة كما تولى كتابته. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص433.

[7] -حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص40.

[8] -ينتسبون الداسرة بربرية الأصل تولى إسماعيل ذي النون الحكم سنة 427- 1036م، وكانت نهاية دولته على يد الملك الخشمالي. انظر: الخليل السمرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط01، ص232.

[9] -مجهول، المصدر السابق، ص41.

الصراعات الذاكرة آنفا التي كانت بين ملوك الطوائف أدت إلى خسائر مادية وبشرية وحتى معنوية الأمر الذي أدى بدول ملوك الطوائف إلى فرض الضرائب على الرعية التي أثقلت كاهل الشعب ومن أدخل هاته الدول في أزمة اقتصادية هي دفع الجزية لملوك النصارى، من لا يدفع الجزية تحاربه كما فعل الفونسو السادس[1] مع أمير مملكة بطليوس.[2]

[1] –ابن فرناند الأول ملك ليون، له حرب طويلة مع المسلمين، عرف باك العظيم، وقد خلف سانشو ملك على قشتالة وألفونسو ملك ليون، استولى على طليطلة سنة 478هـ، ثم انهزم في معركة الزلاقة أمام المرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين. انظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ص142.

[2] –مدينة بالأندلس من أعمال ماردة على نهرآنة غريب قرطبة ولها عمل واسع يذكر في مواضعه. ينظر: معجم البلدان، مج01، ص447.

-الجانب الديني:

أما إذا تكلمنا على التقشف الديني فهو مرتبط بالحالة السياسة والاقتصادية التي مرت بها الأندلس في عصر ملوك الطوائف فمن مانع الانحطاط السياسي والاقتصادي أثر سلبية على الحياة الاجتماعية.

وكنتيجة حتمية لهذا التدهور ولقد تضافرت عدة عوامل ساهمت إسهاما كبيرا في انتشار التقشف والزهد بالأندلس أهمها:

الفساد الأخلاقي الذي عم الأندلس من ارتكاب المحرمات والنيل من الشهوات والاستكثار من مجالس اللهو والشراب.[1]

فضاعت القيم الروحية وأصبح الانحراف من الماديات من الأمور المألوفة في مجتمع مضطرب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا السبب الذي أدى اضطلاع المخلصون بدورهم في توعية الأمة وترشيدها إلى الطريق الصحيح فتعالت أصواتهم محقرين من الدنيا ومتاعها الزائل داعين إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة على أنها سفينة النجاة ومن نتائجهم ما يعرف بالشعر الزهدي ومن هنا يمكن القول أن نشأة التقشف في الأندلس تعد ردة فعل لتلك الحياة المزرية التي يحياها الأندلس وأصبح التقشف لدى مذهبا أدبيا وأخلاقيا معا.

ويقول الشاعر ابن الحداد في هذا الصدد.

لزمت قناعتي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأمير

وكنت سمير أشعاري سفاها فعدت لفلسفباتي سميرا[2]

[1] -المقري، المصدر السابق، ص40.

[2] -ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص102.

المبحث الثاني: بعد دخولهم إلى الأندلس:

لقد كانت الأندلس قبل دخول المرابطين تعيش حياة لا أمان في جميع الجوانب سواءا السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية هذا كله بسبب تكالبهم على السلطة واتباع شهوات الدنيا الأمر الذي أي إلى الضعف وأحيانا الاستنجاد بالنصارى مقابل ثمن باهض.[1]

وفي هذه الفترة بالذات نجد أن تاريخ الأندلس مليء بالتحالف مع النصارى إلى أن بلغ ذروة رهيبة.

كما نلاحظ في هذا العصر ملوك الطوائف أن الاختلاف والتفرقة سمة من سمات ملوك الطوائف وكل هذا كان في صالح مماليك النصارى الذين وجدوا الفرصة السانحة لغزو الأراضي الإسلامية واستطاع ألفونسو السيطرة على قورية وطليطلة[2] وبعض المدن الأخرى.[3]

وفي هذه الأثناء تحركت النخوة الإسلامية من قبل المسلمين أمراء وخاصة المعتمد بن عباد واجتمع علماء وفقهاء قرطبة[4] وواصل رأيهم بعد تبادل الآراء إلى استدعاء المرابطين.[5]

ولما علم ألفونسو السادس بهذا الأمر ارسل رسالة إلى يوسف بن تاشفين يهدده فيها ويستفزه وما كان رد يوسف ابن تشفين رحمه الله أن رد عليه على ظهر الكتاب ذاته: "الجواب ما ترى ما تسمع إن شاء الله.[6]

وجهز يوسف ابن تاشفين جيشا ضخما وسار به إلى الأندلس وهذا يعتبر جوازه الأول لبلاد الأندلس والتقى الجيشان في ساحة الزلاقة[7] ووقعت معركة من أكبر المعارك الإسلامية تقارن بالمعارك الكبرى مثل القادسية واليرموك، واستطاع بها المسلمون بقيادة يوسف بن تاشفين أن ينتصر على الجيش النصراني بقيادة ألفونسو السادس انتصارا باهرا، وبهذا الانتصار زالت فكرة شبح سقوط الأندلس ورفع الروح المعنوية لأهل الأندلس.

---

[1] -علي محمد الصلابي، دولة المرابطون، ص87.

[2] – مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بوادي الحجارة وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق، من قرطبة، وكانت قاعدة لملك القرطبيين وموضع قرارهم. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مج4، ص ص 39، 40.

[3] -علي محمد الصلابي، دولة الرابطون، ص88.

[4] -مدينة عظيمة بالأندلس بينها وبين البحر خمسة أيام، حصينة بسور من الحجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى الوادي من الرصافة أعالي مساكن البلد وتوجد أبنية مشتبكة شرقها وغربها. انظر: ياقوت المحوي، المصدر السابق، ص324. الحميري، المصدر السابق، ص478.

[5] -علي محمد الصلابي، دورة المرابطون، ص90.

[6] -نفسه، ص100.

[7] – موضع صغير على أحد نهيرات وادي أنة المسمى جيريرو من الإقليم بطليوس من غرب الأندلس فيما كانت الواقعة الشهيرة بين المسلمين والنصارى. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص288.

وفي جوازه الرابع إلى الأندلس استطاع أن يقضي على ملوك الطوائف ويضم الأندلس في تاريخ جديد تحت حكم المرابطين.[1]

ويمكن أن نلخص سياسة المرابطين في الأندلس بمراحل ثلاث:

- أولا: مرحلة التدخل من أجل الجهاد وإنقاذ المسلمين وقد انتهت بانسحاب المرابطين بمجرد انتصار الزلاقة.
- ثانيا: مرحلة الحذر من ملوك الطوائف بعد أن كانوا في وضع التنافر والتحاسد.[2]
- ثالثا: مرحلة ضم الأندلس إلى المغرب فوضعوا حد لمهزلة ملوك الطوائف وهكذا استطاع المرابطون أن يسيطرو على الأندلس وتفتح صفحة مشرفة من تاريخهم المليء بالجهاد والمتتبع للمجتمع الأندلسي في عهد المرابطين لم يجدوا حرجا ولا مانعا من سيطرة المرابطين عليهم بل كانوا مسرورين بذلك ولقد استوفت الرعية في دولة حقوقها الشرعية واسقاط الضرائب والمكوس والتخفيف على المجتمع الأندلسي وازدهرت البلاد حضاريا وفكريا ورغم هذا نرى أثر التقشف عند أمراء المرابطين.

أما التقشف على الصعيد الاجتماعي لم يبرز بصورة كبيرة إلا عند بعض المتصوفة التي سوف نتكلم علبها فيما بعد.[3]

[1] -علي محمد الصلابي، دولة المرابطون، ص104.

[2] -نفسه، ص112.

[3] - نفسه، ص115.

هذا ونلاحظ التقشف عند أمراء المرابطين أنفسهم وكل أمرائهم فهذا يوسف بن تاشفين، فبالرغم من شساعة أملاكهم إلا أن المتتبع لسيرهم ينبهر أمام البساطة والتواضع والزهد الذي غلب على تراجمهم لدى المؤرخين المسلمين، فيوسف بن تاشفين الرجل البربري اللمتوني الذي بنى مراكش ووطد أركان الدولة المرابطية في المغرب وعبر بقوته إلى الأندلس فكان ملكا بحق لكنه رغم ذلك ابتعد كل البعد عن مظاهر الابهة والملك وفضل التبعية للخليفة العباسي ببغداد على الاستقلال بملكه، وما زاده هيبة عدله الشديد بين رعيته وخوفه من الله سبحانه وتعالى متبعا في كل هذا منهج السلف الصالح[1]، ويضاف إلى كل هذا تعظيمه الشديد لأهل العلم والفقه فهذا ابن عذارى يصفه بأنه كان خائفا لربه كتوما لسره كثير الدعاء والاستخارة مقبلا على الصلاة[2]، أما صاحب الحلل فقد نعته بما يلي: كان رجلا فاضلا يأكل من عمل يده عزيز النفس كثير الخوف من الله يفضل الفقهاء ويعظم العلماء، فكل فكل هذه الصفات الأخلاقية والسياسية السامية أهلته لقيادة المجتمع الإسلامي في جبهته الغربية بشقيها المغرب والأندلس.[3]

بعد ثمانية وثلاثين سنة من الحكم، توفي يوسف بن تاشفين في مستهل محرم سنة 500هـ وقد بلغ من العمر 100 سنة بعده الحكم ولده علي بن يوسف الذي اتبع سنة أبيه على أكمل وجه في السياسية والحكم والجهاد بل زاد عليه في تقواه وورعه فرغم نشأته الأندلسية وما صاحبها من لهو وترف إلا أن ذلك لم يزده إلا ورعا ونسكاء، وفي هذا يقول عبد الواحد المراكشي كان إلى أن بعد من الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى ان يعد في الملوك والمتغلبين.[4]

دون أن ننسى توفيره الشديد للعلم والعلماء إلى درجة جعلت منه تقريبا أداة طيعة في أيادي الفقهاء المالكية الذين استأثروا بالملك أثناء فترة حكمه مستغلين ورعه وزهده في سبيل الوصول إلى غاياتهم، كان يقضي في القضايا والأحكام بفقهاء بلاده ويقربهم ويكرمهم وإذا أتته نصيحة قبلها أو موعظة خشي لها واستمر على هذه الصورة الزهدية رغم سوء أوضاع المملكة خاصة بعد الخمسمائة[5]، وقد صور لنا عبد الواحد المراكشي ذلك بقوله: "واختلف حال أمير المسلمين في ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه وعكف على العبادة والتبتل

[1] – محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الدامعة، الاسكندري، (د.ط)، ص12.

[2] –عبد الله غانم، الدعوة الموحدية في المغرب، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ط1، ص116.

[3] –ابن عذارى، المصدر السابق، ص46.

[4] –مجهول، المصدر السابق، ص112.

[5] – النويري، المصدر السابق، ص273.

فكان يصوم النهار ويقوم الليل مشتهرا عليه ذلك"[1]، إلى أن وافته المنية في سنة 537هـ، بينما يجعل النويري سنة وفاته 535هـ.[2]

أما الأمير الثالث وهو آخر الأمراء المرابطين تاشفين بن علي الذي فاق زهد وورع والده فقد تولى أمور الدولة في أوقات عصيبة خاصة مع اشتداد ضربات الموحدين، لكن هذا ما لم يمنعه من اتباع منهج السلف الصالح، فقد ورد لدى المؤرخين[3] أنه كان يسلك طريق ناموس الشريعة ويميل إلى طريق المستقيمين وقراءة كتب المردين، لم يشرب قط مسكرا ولا استمع إلى قينية.[4]

إن تقشف وتزهد أمراء المرابطين إضافة إلى ذلك اندثارهما للعلماء والفقهاء الذي أصبح لهم السلطان على الخاصة والعامة، وكانوا ينصحون الناس بالعبادة والتقوى والاقتداء بالحكام الزهد فنتيجة حتمية لهذا الأمر انتشار بذلك الشعراء المتزهدين حتى أصبح التقشف صناعة مطلوبة وزيا مرغوبا فيه فمنهم من ينظمه بعامل التقوى والصلاح ومنهم من ينظمه اقتاءا بغيره وإرضاءا لنفسه ومنهم من ينظر إلى الدنيا نظرة خائن فيذم غرورها ويذكر ذنوبه وجنوبه بملذات الحياة فيندم ويعتذر إلى الله.[5]

وعندما نتصفح شعر الزهد في هذا العصر نجده قسمين قسم يدور حول معاني الوعظ عن طريق التذكير بالآخرة، والتفكير في العالم والموت والحساب وعدم الاغترار بالدنيا الفانية وقسم يشمل معاني التوبة والتضرع إلى الله والمغفرة منه.

فمن شعراء القسم الأول: أبو بكر الطرطوشي وصفه ابن خلكان فقال: كان إماما عاملا زاهدا دنيا متواضعا متقشفا متثقلا من الدنيا راضيا منها باليسر[6]، كان شاعرا مقلا وشعره في هذا الغرض وسط يغلب عليه موضوع التذكير بالآخرة والنهي عن الرشوة ووعظ الملوك، ومنه قوله في مقطوعة وقد سلك فيها طريق الزهاد فدعا إلى تطليق الدنيا وعدم التعلق بها لأن الإنسان غير مخلد فيها وخير للمرء أن يتخذ من صالح أعماله سفينة نجاة تخلصه من فتن الدنيا وغرورها:[7]

[1] –عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص40.

[2] –النويري، المصدر السابق، ص156.

[3] –نفسه ، ص275.

[4] –ابن عذارى، المصدر السابق، ص79.

[5] –ابن خلكان، المصدر السابق، ص261.

[6] – نفسه، ص262.

[7] –ابن سعيد الغربي، المصدر السابق، ص424.

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافو الفتنا

ذكروا فيها قلما علمو أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفن

وأما أشعار القسم القاني التي تشمل معاني التوبة والتضرع إلى الله والمغفرة منه فإنها أشعار كانت بواعثها كبر السن والشيخوخة، حيث يذهب عدد منهم إلى الزهد حيث يكون شبح الموت منهم قاب قوسين أو أدنى أو حين يرافقهم مرض عضال ويصاحبهم شعور بالتخلف عن ركب الحياة وتأخر عن ممارسة النشاط فيها على وجه الأمثل وبعض الشعراء يدعوه كبر السن إلى التوبة وتذكر الآخرة، وآخرون ينحازون إلى الزهد بصورة تؤثر على أنماط حياتهم السابقة فتنقلب رأسا على عقب ويندرج تحت هذا القسم العديد من القصائد و المقطوعات الزهدية، فلا بي الفضل بن الأعلم قصيدة قالها كما ذكر صاحب الخريدة عند فراق الصبا والصبوة واكنهل نبت الكهولة وشد عقد التوبة بانحلال ماكان للحوية من حيوة[1] ومنها قوله:

أما أنا فقد ارعويت عن الصبا وغضضت من ندم عليه بنائي

وأطعت نصاحي ورب نصيحة جابو بها فلججت في العصيان

أيام أحيي بالغنا والغنا وأموت بين الراح والريحان

أيام اسحب من ذيول شبيبتي مرحا وأعثر في فضول عناني

واجل كأسي أن ترى موضوعة فعلى يدي أو في يدي ندماني

ويبدو أن أبا الفضل عاش جانبا كبيرا من حياته منغمسا في ملاذه من الخمر والنساء مؤكدا ذلك أبياته السابقة كما يؤكد في خمريائه وغزله من عبث ومجون واستهتار.[2]

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تجلى التقشف والزهد في فئة من المجتمع الأندلسي في عهد المرابطين في الصوفية ولقد كثر الصوفية والتصوف: هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن

[1] – ابن خلكان، المصدر السابق، ص268.

[2] – نفسه، ص270.

من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل أو غيبة الخلق في شهود الحق مع الرجوع إلى الأثر فأول علم ووسطه عمل وآخره موهبة.[1]

ويعرفه ابن خلدون: أصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف.[2]

ورغم حياة البذخ والترف التي عرفتها الحقبة المرابطية إلا أن الصوفية التزموا بالتواضع في المأكل والمشرب واللباس[3]، وهي الفكرة التي يروج لها ألفريد بيل وهي أنه استيلاء المرابطون على الحكم في العدوتين على سواء جنح نواميس الكون والحياء.[4]

ومهما يكن من أمر فقد ظل لباسهم يوصف بصفات عديدة منها: المرقعة والخرق البالي والتلبس[5] والحلس[6].

وما نخلص إليه هو انه رغم حياة الترف التي عاشها المجتمع أيام المرابطين إلا أنه ظل لباس المتصوفة رمزا من رموزهم فلم يغيرو فيه ولم يبدلوا.

إن انتشار التصوف من الفعاليات الدينية والاجتماعية المتباينة في توجيهاتها الفكرية والفلسفية وطقوسها الدينية ومستوياتها الاجتماعية في القرنين 8و9 الهجريين قد أدى إلى تصدع فكرة التفاف الصوفية حول مبدأ التقشف والزهد في المأكل والملبس والمسكن والوظيفة، والتي لا طالما ظلت القاسم المشترك بين أكثر الصوفية منذ القرن 6هـ/ 12م الأمر الذي أقرر ثلاث مواقف هي[7]:

---

[1] –عبد الله بن عجيبة، معراج التشوق إلى حقائق التصوف ويليه كشف النقاب عن سر الألباب، ات، تح: عبد المجيد الخيالي، مركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، (د.ط)، (د.ت)، ص25– 26.

[2] –ابن خلدون، المقدمة، ج03، ص49.

[3] – Alorod.Bel. le soufisme en accident musuliman au xile S,Anneles de l'institu d'etudes oriental, Alger, 1934, p24.

[4] –عبد الله بن عجينة، المصدر السابق، ص27.

[5] –وتلاس عبارة عن قطعة كبيرة من نسيج خشن من الصوف أو شعر الماعز أو الخوص يستعمل كبساط أو غطاء أو لباس وقد يتم تخييطه ببعضه ليصنع منه أكياس لحمل الحبوب ونحو ذلك. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج06، ص39.

[6] –هو كساء غليظ على ظهر البعير. ينظر: M,Benchaneb :observation sur mot telige son orgine, revue afrique n°187 annee 1992, p59.

[7] –التمبكتي بابا بن احمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن التكتوري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب طرابلس، ليبيا، 2000، ط2، ج2، ص133، 134.

الموقف الأول: وكان أصحابه مشبعين بالقناعة الشاذلية في الخروج عن قاعدة التخلية فلم يتقيدو بفكرة التقشف ولم يزهدو في المأكل والملبس والمسكن والوظيفة.

الموقف الثاني: وفيه تشبث أصحابه بفكرة التقشف والزهد بما كان ينطوي عليه تأثير لباس الصوف وقلة الطعام في نفوسهم وسلوكهم وعقولهم.[1]

الموقف الثالث: ويمثله الصوفية الذين جمعوا بين الحرفة لكسب القوت الحلال بوصفه أساس الزهد والتقشف حتى أنهم قدموه على العمل الصالح.

وإذا كان عدم الالتزام بالمنحى التقشفي والزهدي خيارا متجرا في المنظومة الشاذلية فإن التشبث بهذا المنحى كان بالنسبة للصوفية الاتجاهات التوحدية العرفانية وصوفية الحقيقة والشريعة، مسألة مبدأ يقوم عليهم تصوفهم فالتقشف والزهد في تجربتهم الروحية هو أساس تصرفهم ثم إن ذلك يتيح لهم ربط تصوفهم بمتابعة الجنيدية الأولى، وكذلك شكل السعي لكسب الحلال فرار من حالة التشويش والضغط التي كانت تتسبب فيه الوظيفة الرسمية وتتيح لهم التعفف في عطاءات السلاطين وهباتهم.[2]

ومن هذا المنظور تسعى هذه المحاولة للكشف عن طبيعة الموقف الثلاثة عبر التعرض لظاهرة الزهد في الميراث والمال والتقشف في المأكل والملبس وتجري الحلال في القوت بممارسة المهنة والحرفة ولا شك أن ذلك قد سقط بظلاله على أخلاقهم في جوانب الإيثار والرأفة والصدقة والصدق والصبر والحلم وغيرها مما ساعد في بناء تصور عن الشخصية الصوفية.[3]

[1] -نفسه، ص135.

[2] -التمبكتي، المصدر السابق، ص136.

[3] -نفسه، ص138.

المبحث الثالث: أثر التقشف في الأندلس:

1-اجتماعيا:

كان للتقشف أثره الواضح في الحياة الاجتماعية في عهد المرابطين سواء في بلاد المغرب أو الاندلس فلم يكونوا يوغلون في المباني والقصور وحتى في المساجد التي كانت تشيد في زمنهم وكانت في غاية البساطة كما كانت عاداتهم وتقاليدهم بسيطة وغير مكلفة مثلا: الزواج عند مجتمع المرابطي كان يمثل الزواج في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في بساطته وتسيير مهوره وصداقه[1]. كما نجد أن المرابطين قضوا على كل العادات التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية فتجنبوا الكثير من الخرافات والأعياد التي تؤدي إلى خسارة المال وبذلك حققوا وفرة في بيت المال، عاد على المجتمع بأثره الإيجابي خصوصا في الأندلس سواء على الأسرة الحاكمة أو الرعية، ويظهر هذا جليا عندما قام المرابطون بإلغاء كل الضرائب المكوس التي تثقل كاهل الشعب، وكذلك قامت بإلغاء الضرائب التي لم يأتي بها الشريعة الإسلامية وأن التقشف الذي انتهجه الرابطون في حقيقة الأمر يصب في مصلحة المجتمع بأسره وهذا ما يعرف في الشريعة الإسلامية بالمعلوم في الشرع بالضرورة.[2]

ولكن في أواخر حكم المرابطين وامتزاجهم بالأندلس فقد تسربت لهم الكثير من مظاهر البذخ والترف التي كان عليها سكان الأندلس إلى المجتمع الأندلسي، فخرج هذا الأخير من البساطة في العيش والتقشف إلى محاولة الاهتمام بالمظاهر الدنيوية التي عادتا ما تكلف خزينة الدولة أكثر مما تتحمل وهذا بدوره انعكس سلبا على النظام والمجتمع حيث تغيرت الأدوات الفنية[3] لتتلائم والإسلام، وحكم المرابطين لإسبانيا.

ابان حكم المصلح يوسف بن تاشفين 453- 500هـ/ 1061- 1107م لاحظ الخبراء أن الفن اتصف بالبساطة والتقشف ولكن عندما خلفه ابنه علي لن يوسف الذي تلقى تعليمه في الأندلس، لم يسر على نهج والده الديني ففتح المجال للفنانين والمعماريين الأندلسيين للعمل في شمال إفريقيا.[4]

[1] -خليل جليل بخيت، المرجع السابق، ص308.

[2] - نفسه، ص310.

[3] -سلمى الخضراء الجيوشي، العمارة في المغرب والأندلس خلال العصر المرابطي (نقلا عن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، الجزء الثاني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الثاني، نوفمبر، 1999، ط2، ص475.

[4] - نفسه، ص475.

2-اقتصاديا:

كما كان للتقشف أثر على الحياة الاجتماعية فلابد أن يكون له أثر على الصعيد الاقتصادي ومن النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا بهذا الموضوع نستنتج ما يلي[1]:

1- لقد ساعد التقشف المرابطين في إثراء الخزينة المالية للدولة الأمر الذي سهل دفع أعطيات الجنود وتجنب الفتن والثورات.

2- ساعد التقشف المرابطين على بناء اقتصاد قوي عن طريق التجارة وخاصة التجارة مع المشرق.

3- ساعدهم على استئناف الحروب وذلك من وفرة المال والسلاح.

4- أدى التقشف إلى ازدهار السلع وتنشيط التجارة ووفرة الأسواق في بلاد الأندلس.

وإذا ما تكلمنا على التقشف الذي مس ملوك الطوائف نتج عنه عدة أمور سلبية على الغالب منها هجرة الناس إلى البلدان العربية وسيطرة ملوك النصارى على اغلب المدن العربية الأندلسية وفرضه على ملوكها دفع الجزية، مما أدى ملوك الطوائف إلى فرض الضرائب الكثيرة على رعاياها بدون مراعات الحالة الاقتصادية والاجتماعية لهم وقد نتج عن هذا استدعاء المرابطين كما أشرنا في الصفحات السالفة الذكر.[2]

[1]-خليل جليل بخيت، المرجع السابق، ص320.

[2]-نفسه، ص321.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع ظاهرة التقشف عند المرابطين توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

- التنوع الدلالي لمصطلح التقشف وإبراز بعض مفرداته.
- مس التقشف بعض المظاهر من حياة المرابطين كالملبس والمأكل والمشرب والعمران، حيث نجد تنوع في اللباس وقد اختلف على حسب الطبقات، إذ ساد طابع التقشف لباس القبائل البربرية حيث كان لباسهم يقتصر على لبس الصوف في أغلب الأحيان.
- ونجد أيضا ما ميز لباسهم هو وضع اللثام وهذا يرجع لطبيعة البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها.
- وفيما يخص تقشفهم في الغذاء فكان يقتصر على اللحم واللبن وهذا لاشتغالهم بمهنة تربية الحيوانات والرعي.
- ساد التقشف في دولة المرابطين حتى أنه مس بعض أمرائها على سبيل المثال يوسف بن تاشفين الذي تقشف في حياته.
- قيام دولة المرابطين على أكتر الدعاة وهو عبد الله بن ياسين والذي اتخذ الدين الإسلامي ركيزة لدعوته وكانت عقيدتهم بالأخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت دولتهم على العموم ذات نظام عادل وهذا راجع للاستقرار والأمن على العموم.
- تعتبر دولة المرابطين دولة عظيمة بالمغرب الأقصى والأندلس، فأصولها ترتبط بالقبائل البربرية خاصة قبيلة صنهاجة وفروعها.
- اهتم المرابطون بالعمران وخلدوا عدة أعمال في المغرب الأقصى منها تأسيس مدينة مراكش واتخاذها عاصمة لها وفتح فاس وباء العديد من المساجد والقصور والقناطر والحمامات.
- إبداع المرابطين في أشكال البناء رغم أدواتهم إلا أنهم ومع دخولهم الأندلس تأثروا بحضارتهم فأخذوا يهتمون بالبناء وقاموا بعدة تغييرات أعطوها شكلا جديدا يمتاز بالدقة والمهارة.
- امتاز أمراء المرابطين بصفات منهم التقوى والعدل مع الرعية والشجاعة والاهتمام بعدة علوم والتواضع والزهد، وهذا ما مكنهم من التحلي بالأخلاق الحميدة.
- تغير مظاهر الحياة بعد دخول المرابطين للأندلس وهذا لانغماسهم في حياة الترف حيث استطاع الأندلسيون أن يؤثروا في المرابطين بالشعر والأدب وتأثروا آنذاك بجوانبها المعمارية والفنية والثقافية.

- ازدهار الأوضاع الاقتصادية في بلاد المغرب بعد دخول المرابطين إليهم وذلك من خلال سياستهم، واستطاعوا بذلك تحسين اقتصادهم سواء من الناحية الزراعية أو التجارية أو الصناعية.
- أدى التقشف الحتمي الذي ساد بلاد الأندلس إلى انهيار الحالة الاقتصادية لدول ملوك الطوائف.
- انتشار الشعر أو ما يسمى بالزهد في الشعر وخاصة بعدما بدأت حروب الاسترداد.
- أثر التقشف على الحالة الاجتماعية بالسلب خاصة عندما انتشرت الأوبئة والأمراض.
- كما أدى التقشف بالمجتمع الأندلسي إلى الجري وراء لقمة العيش السبب الذي جعلهم يبتعدون عن الجهاد ضد النصارى.
- أدى التقشف إلى إثقال كاهل الرعية، وخاصة ملوك الطوائف وذلك عندما فرض ملوك الطوائف ضرائب كثيرة على رعاياها.
- راج الاقتصاد في بلاد المغرب اثناء تواجد المرابطين حيث اهتموا بتطويره من مختلف جوانبه، كما اهتموا بالزراعة وضاعفوا الإنتاج أدى هذا لظهور المراكز الصناعية اختلفت فيها الصناعات بأنواعها

الملاحق

الملحق رقم :(01)

الحدود الجغرافية لدولة المرابطين[1]

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص165.

الملحق رقم: (02)

الدولة المرابطية عقب يوسف بن تاشفين سنة 500هـ[1].

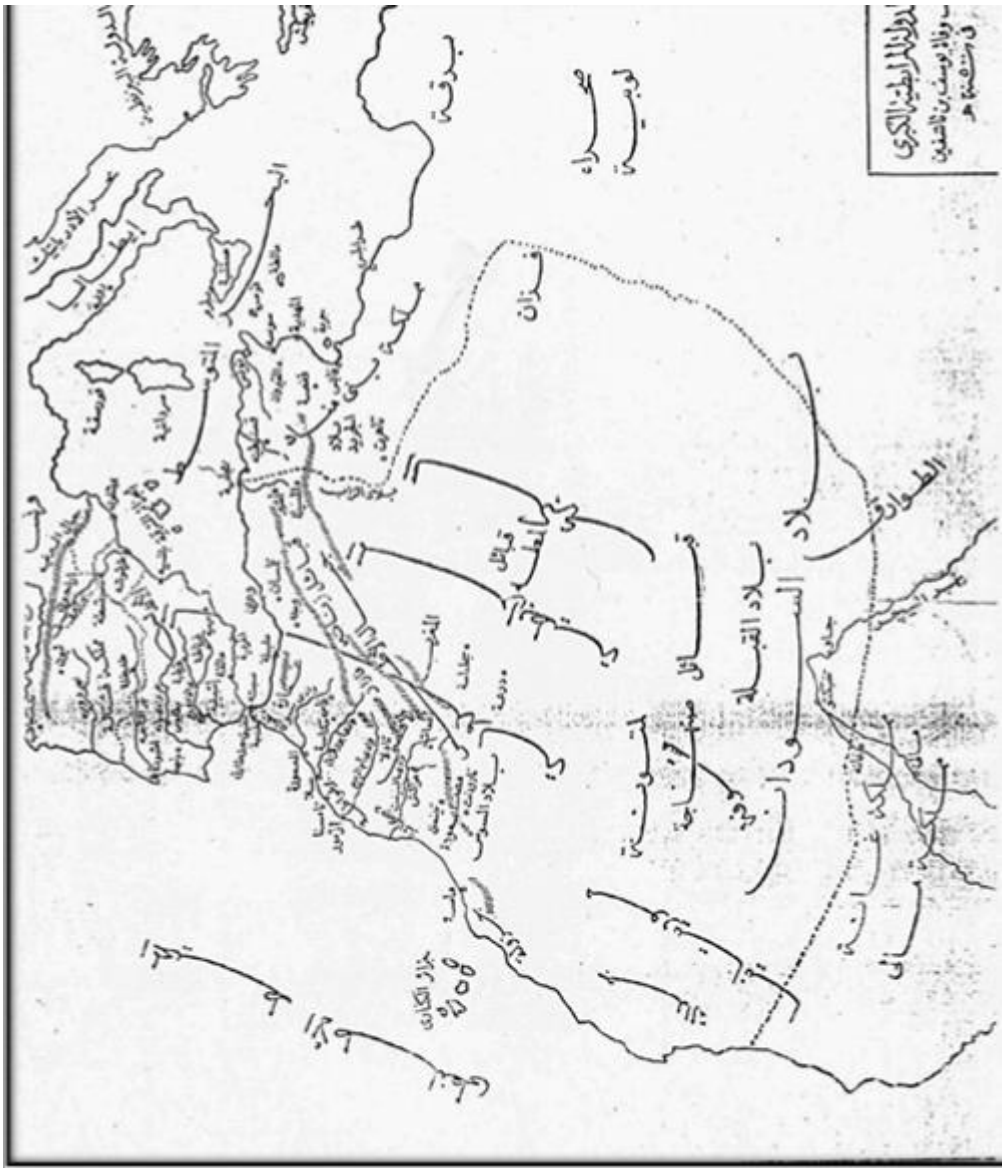

[1] عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، 45.

الملحق رقم: (03)

1.عمائم أندلسية

الملحق رقم: (04)

4.برنوس أسود

الملحق رقم: (05)

صحراوات الملثمين[1]

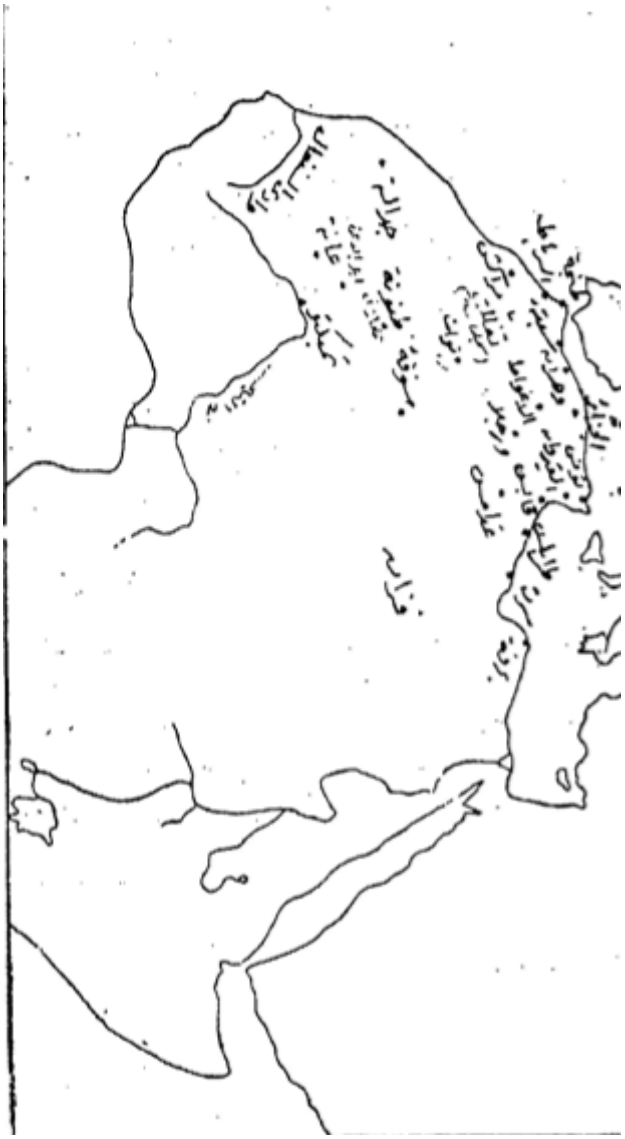

[1] زغلول سعد عبد الحميد، المرجع السابق، 514.

الملحق رقم: (06)

فاس– جامع االقرويين، قبة من المقربصات في البلاط الأوسط[1]

[1] سلامة محمد سلامة الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية حضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1405هـ، 1985م، د ط، ص421.

الملحق رقم: (07)

فاس– جامع االقرويين، قبة من المقربصات في البلاط الأوسط[1]

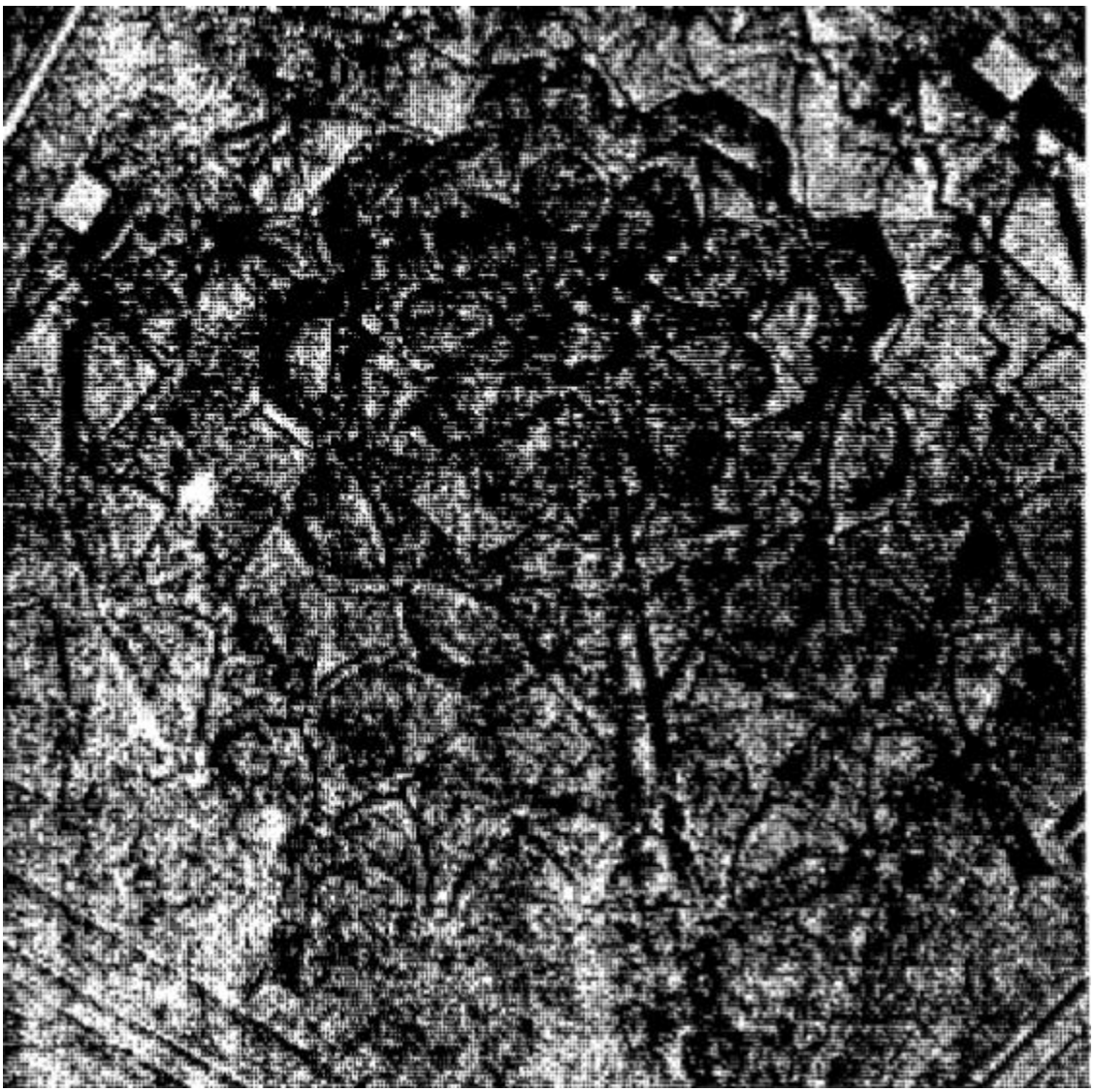

[1] سلامة محمد سلامة الهرفي، المرجع السابق، ص422.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا : المصادر :

1. ابن ابي دينار أبو عبد الله ابن ابي القاسم الرعيني القيرواني ،المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق وتعليق : محمد شهام ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، ط3، 1967م.
2. ابن ابي زرع الفاسي ، علي بن ابي زرع الفاسي (ت 741هـ /1139م) : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصورة للطباعة والرواقة ، الرباط ، (د ط) ، 1972م
3. ابن الابار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ / 1260م) ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، دار الفكر , بيروت لبنان ، 1995م.
4. ابن الاثير أبو الحسن علي بن ابي كرم (630هـ / 1232م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : محمد العرب ، المكتبة العصرية ، 1426 هـ – 2005م .
5. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت 776هـ / 1374م) ، الإحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1977م.
6. ابن الزيات يوسف بن يحي التادلي ، التشوف الى رجال التصوف ، تحقيق : احمد توفيق ، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية ، الرباط المغرب ، ط1 ، 1984 .
7. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غائب الامصار وعجائب الاسفار ، مراجعة : درويش الحويري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005م .
8. ابن حوقل محمد البغدادي ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، 1996م .
9. ابن خلدون عبد الحمان بن محمد بن خلدون (ت 808هـ / 1406م) ، المقدمة ، تحقيق وتعليق : عبد الله محمد درويش ، دار البلخي ، دمشق ،ط1 ، 1425هـ 1993م .
10. ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ودوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1992م
11. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت686هـ/1282م) ،وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار الصادر ، بيروت ، 1988م.

12. ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1.
13. ابن عبدون محمد ابن احمد التجيني ، رسالة الحسبة والمحتسبة ، تحقيق : الفي بروفنسال ،مطبوعات المعهد الفرنسي ، الاثار الشرقية ، 1955م.
14. ابن منظور ، الامام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ / 1311م) ، لسان العرب ، دار الصادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1863م .
15. احمد بن حنبل ،كتاب الزهد ، تحقيق وتعليق : محمد بلال اشرف ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981م .
16. الأحمر ابي الوليد إسماعيل(ت 725هـ) ، بيوتات فاس الكبرى ، نشر عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، 1972م .
17. الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسيني (ت 560هـ / 1046م) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، المكتبة الثقافية الدينين ، القاهرة ، 2002م .
18. البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ /1094 م) ، بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق : دي سيلان ، ط2، 1911م .
19. التعارجي العباس ابن إبراهيم ، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، فاس ، ط1، 1936م.
20. الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 710هـ /1310م) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان بيروت ، ط1 ، 1975م
21. الذهبي ،محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1413 هـ .
22. الرازي محمد ابن ابي بكر عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،ط1.
23. الزجالي أبو يحي بن عبد الله بن احمد ، أمثال العوام في الاندلس ، تحقيق : محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة ، 1971م.
24. السلاوي الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ،الدار البيضاء ، ط2.
25. العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،كتاب اللباس ، دار الريان للتراث ، 1407هـ 1984م .
26. الغزالي أبو حامد محمد الغزالي الطوسي ،(ت505) ، احياء علوم الدين ، دار المنهاج ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ط1 ، 1432هـ – 2011م.

27. القشيري النيسابوري ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج مسلم ، الجامع الصحيح ،كتاب والرقائق ، طبعة مصححة ومقابلة .

28. المرادي أبو بكر محمد ابن الحسن ، الإشارة في تدبير الامارة ، تحقيق : محمد حسن محمد إسماعيل واحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2004م -1424هـ ، ط1.

29. النويري شهاب الدين احمد ابن عبد الوهاب (ت 733هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق : عبد المجيد تريحي ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت لبنان ، (د س) ، (د ط) .

30. التمبكتي بابا احمد بن الفقيه الحاج بن عمر بن التكروري ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، 2000م .

31. الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق : محمد زينهم الغرب ، دار القرجاني ، القاهرة ، ط1، 1414هـ -1994م .

32. عبد الواحد المراكشي ، وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق : حسين مؤنس ، المكتبة الثقافية والدينية ، القاهرة ، ط1، 1997م .

33. مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد والمدينة ، الدار البيضاء ،1979م .

34. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

35. المقري أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ، دار الصادر 1988م

36. ياقوت الحموي ،شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ / 1229م) ، معجم البلدان ، دار الصادر ، بيروت ، 1977م .

ثانيا: المراجع:

37. إبراهيم القادري بوتشيش ، المغرب و الاندلس في عهد المرابطين (المجتمع.الذهنيات .الاولياء)دار الطليعة للنشر ،ط1 ،1993م .

38. إبراهيم القادري بوتشيش ، تاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .

39. إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ، 2000م .

40. احمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ، القاهرة ، 1429هـ -2008م.

41. إسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1980م .

42. ايمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصوفية (دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات اهل الصفاء من كلام خاتم الاولياء) ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000.

43. حامد محمد خليفة ، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الاندلس من الصليبين ، دار القلم ، دمشق سوريا ، ط1 ، 1424هـ -2013م .

44. حسن احمد محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ العرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1996.

45. حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، ط2 ، 1996.

46. حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس 'عصر المرابطين والموحدين ' ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، ط1 ، 1996م .

47. حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب والاندلس ، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد ، مكتبة الاسرة ، 1992.

48. حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، مراجعة : عادل أبو المعاطي محمد الديب .

49. حمدي عبد المنعم محمد حسين ، التاريخ السياسيوالحضاري للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، مصر الإسكندرية ، 1999م .

50. خليل إبراهيم السامرائي ، علاقات المرابطين بالمماليك الاسبانية بالاندلس وبالدول الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجزائر ، 1985م .

51. زغلول سعد عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، منشات المعارف ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008م.

52. سعدون عباس نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس عهد يوسف بن تاشفين ، بيروت ، 1985م.

53. سلامة محمد سلامة الهرفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية حضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، 1405هـ، د ط، 1985م.

54. العبادي احمد مختار ، صور من حياة الحرب والجهاد في الاندلس ، منشاة المعارف ،الإسكندرية ، ط1، 2000م .

55. عبد الحكيم الكعبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ،عصر الخلفاء الراشدين ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن عمان ، 2009م.

56. عبد الحليم عويس ، ابن حزم الاندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1409هـ – 1988م .

57. عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ،ط2 ، 1991م .

58. عبد الحليم محمود ، اقطاب التصوف لسفيان الثوري ، دار المعارف ط3.

59. عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969م .

60. عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

61. عبد العظيم حمدي ، فقر الشعوب بين الاقتصاد الوصفي والاقتصاد الإسلامي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1995م.

62. عبد الله غانم ، الدعوة الموحدية في المغرب ، دار المعرفة ، القاهرة ط1 ، 1964.

63. عبد المقصود احمد محمد ، الدعاية السياسية ةالاعلام في بلاد المغرب والاندلس ، مؤسسة شباب الجامعة الإسلامية ، الإسكندرية .

64. عصمت عبد اللطيف دندش ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني ، 510- 546هـ / 1016-1151م.تاريخ سياسي وحضارة ،دار الغرب الإسلامي ، 1408هـ/1992م ، بيروت لبنان .

65. عصمت عبد اللطيف دندش ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا (430-515هـ /1038-1129م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1408هـ -1988م .

66. علي محمد الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3 ، 1430هـ -2009م .
67. علي محمد الصلابي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين ، مؤسسة اقرا ، القاهرة ،ط2، 1389هـ .
68. لويس معلوف ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، 1908م.
69. مارك بليث ، التقشف تاريخ وفكرة خطيرة ، ترجمة : عبد الرحمن الياس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ، عالم المعرفة ، الكويت ، 2016م .
70. محمد البركات البيلي ، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن 5هـ ، دار النهضة العربية والتوزيع ، القاهرة ، 1993م .
71. محمد حامد خليفة ، يوسف بن تاشفين بطل معركة الزلاقة ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ،ط1 ، 2004م
72. محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون تاريخهم السياسي ، القاهرة ، ط1 ، 1969م .
73. محمود السيد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .
74. معجم اللغة العربية (الإدارة العامة واحياء التراث) ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، ط4 ، 1425هـ 2004م .

- ثالثا: المراجع الأجنبية :

75. دوزي رينهارت ، المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية ، ترجمة : احمد فاضل ، المكتب الدائم التنسيق والتغريب في الوطن العربي ، الرباط المغرب ، 1958م .
76. Alorod bel ,le soufisme en accident musulimam au x ile s,anneles de l'etudes oriental ,alger ,1934.
77. M :ben cheneb :observation sur mot telige .son orgine ,revue afrique n =187 annee 1992.

-رابعا: المجلات :

78. خليل جليل بخيت مهاوش وخليدة عباس نصيف جاسم ، المرابطون واثرهم الحضاري والفكري لبلاد الاندلس (552-479هـ) ، مجلة الأستاذ ، كلية التربية ابن رشد ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، جامعة بغداد ، العدد 222، 2017م -1431هـ .

79. زهرة خضرة عباس العبيدي ، التقشف مجلة سياسية ودولية .

80. عبد السلام محمد اللوح ، محمود هاشم عنبر ، علاج مشكلة الفقر –راسة قرانية موضوعية – مجلة الجامعة الإسلامية ، سلسلة الدراسات الإسلامية ، العدد1 ، جانفي 2009.

81. مالكي سليمان عبد الغني ، بعض الملامح الاجتماعية في مدينة مراكش في عصري المرابطين والموحدين ، الدار السعودية ، مجلد 12 ، العدد 3 ، ديسمبر 1986م.

82. محمد بن عبود مصطفى بن سباع ، جوانب من المجتمع خلال عصر الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج ، مجلة كلية الاداب ، تيطوان المغرب ، 1994م.

83. ملياني زينب ، الأطعمة والاشربة بالمغرب والاندلس عصري المرابطين والموحدين ، مجلة انسنة للبحوث والدراسات ، العدد 7 ، جوان 20130.

84. نهاد خياطة ، كتاب النفائس ومحاسن المجالس ، مجلة المورد ، العدد4 ، سوريا .

-خامسا: الاطروحات والرسائل الجامعية :

85. بن خيرة رقية ، الافات الاجتماعية للاندلس بين القرنين الخامس و السادس هجري والقرن الحادي عشر والثاني عشر ميلادي ، دراسة في ظاهرة الانحراف ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تاريخ الحوض الغربي للمتوسط ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، معسكر .

86. عيسى بن الذيب ، المغرب والاندلس في عصر المرابطين –دراسة اجتماعية اقتصادية – ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2008-2009م.

87. مريم العناني ، الاسرة الاندلسية في عصر المرابطين والموحدين ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ والاثار ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة منشوري ، قسنطينة .

فهرس

المحتويات

الفهرس :

كلمة شكر

الاهداء

المختصرات

المقدمة..... **(أ– د)**

المدخل:لمحة عن القبائل البربرية قبل تأسيس المرابطين.....**(15–08)**

الفصل الأول : التقشف ومظاهره .....**(18– 40)**

المبحث الأول : تعريف التقشف.....**(34–18)**

– لغة و إصطلاحا.....**(22–18)**

– مرادفاته .....**(27–23)**

المبحث الثاني: أشكال التقشف.....**(34–28)**

– اللباس .....**(31–28)**

– المأكل و المشرب..... **(33–31)**

–العمران..... **(34–34)**

المبحث الثالث :نماذج عن المتقشفين .....**(35– 40)**

–عبد الله بن ياسين ..... **(37–35)**

–يوسف بن تاشفين ..... **(40–38)**

الفصل الثاني: التقشف عند المرابطين قبل قيام الدولة .....**(58–43)**

المبحث الأول :الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبل دخول المرابطين .....**(48–43)**

–الأوضاع الاجتماعية .....**(43 – 44)**

–الأوضاع السياسية والاقتصادية .....**(45– 48)**

المبحث الثاني : أوضاع المغرب بعد تأسيس دولتهم .....(**49– 58**)

-الأوضاع الاقتصادية "نموذجا "..... (**49–52**)

-اثار المرابطين..... (**53– 58**)

الفصل الثالث : التقشف عند المرابطين بعد قيام الدولة .....(**61–75**)

المبحث الأول : قبل دخولهم للأندلس ..... (**61– 66**)

المبحث الثاني : بعد دخولهم للأندلس ..... (**67 – 73**)

المبحث الثالث :اثار التقشف في الاندلس ..... (**74– 75**)

خاتمة .....(**77–78**)

الملاحق ..... (**80 –86**)

قائمة المصادر و المراجع .....(**88– 94**)